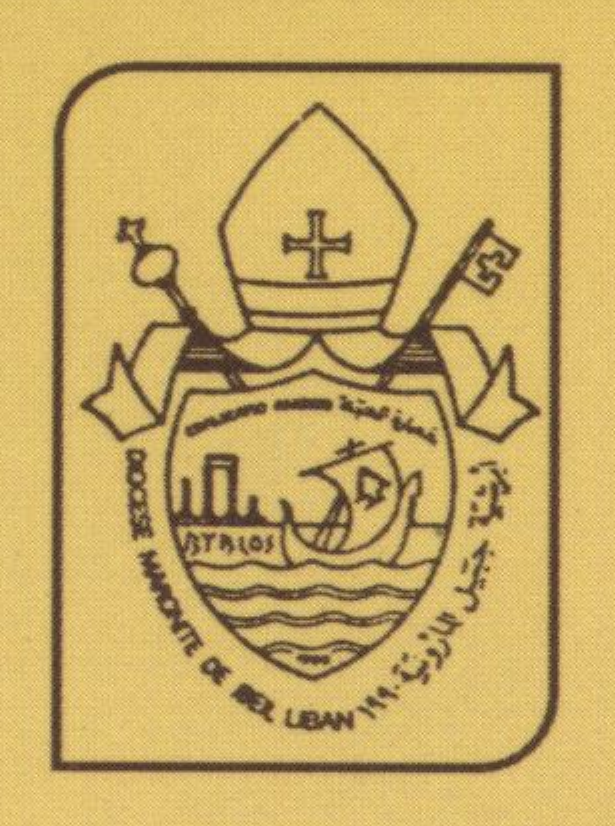


سلسلة التنشئة المسيحيّة

٢

نور إنجيل مجد المسيح

(٢ كور ٤/٤٢)

أناجيل الآحاد حسب السنة الطقسيّة المارونيّة

٢٠٠٥ ✤ ٢٠٠٦

في زمن الغطاس والتذكارات

المطران بشاره الراعي

مطـران جبيـــل

NDU PRESS

منشورات جامعة سيّدة اللويزة

نور إنجيل مجد المسيح
زمن الغطاس والتّذكارات

تـألـيــف **المطران بشاره الرّاعي**
منشــورات جامعة سيّدة اللويزة©
ص.ب.: ٧٢ زوق مكايل - لبنان
تلفون: ٠٩/٢١٨٩٥٠/١
فاكس: ٠٩/٢١٨٧٧١
www.ndu.edu.lb
الطّبعة الأولى ٢٠٠٥
القيـاس ١٤,٥ × ٢١,٥ سم
تـنـفـيـذ مطابع معوشي وزكريّا
ISBN 9953-457-01-8



سلسلة التنشئة المسيحيّة

٢

نور إنجيل مجد المسيح

(٢ كور ٤/٤٢)

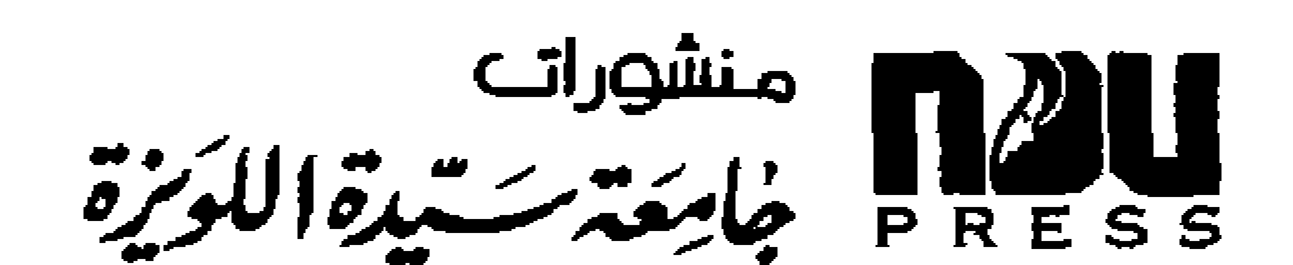
أناجيل الآحاد حسب السنة الطقسيّة المارونيّة

٢٠٠٥ ✤ ٢٠٠٦

في زمن الغطاس والتذكارات

المطران بشاره الراعي

مطران جبيل



المحتوى

تقديم

"يسوع وسيط العهد الجديد". (عبر١٢/٢٤)، الذي هو صورة اللّه، **أشرق بنور إنجيل مجده إلى الذين أعمى إله هذه الدنيا بصائرهم** (٢ كور٤/٤). فلا بدّ من أن يستنير به الجميع من أجل حضارة جديدة، وأن يعتمدوا على وساطته لكي يتجدّدوا بنعمة الخلاص، ويتقدّسوا في أعمالهم.

أناجيل الآحاد في **زمن الغطاس أو الدّنح** تحمل قسمين: **الأوّل** شرح النصّ الانجيليّ بمفهومه اللفظيّ والعقائديّ والخلقيّ والنهيويّ، **والثاني** خطّة راعويّة لتطبيق توصيات المجمع البطريركيّ المارونيّ.

هذه السلسلة من التنشئة المسيحيّة موجّهة إلى جميع المؤمنين، ولاسيّما إلى الكهنة والشمامسة والاكليريكيين ومعلّمي التعليم المسيحيّ ومعلّماته، وإلى الجماعات الرهبانيّة في الأديار والمراكز، وإلى المكرّسين والمكرّسات وسط العالم، وإلى المجالس الراعويّة واللجان، وإلى المنظّمات الرسوليّة في الرعايا والأبرشيّة، وإلى سائر الهيئات، وإلى العائلات والجماعات العيليّة والمنظّمات المعنيّة بالأسرة. الغاية منها تحقيق المسيرة معًا، وسط شعب اللّه، السائر في هذا العالم، ساعيًا، يومًا بعد يوم، إلى بناء مدينة الأرض على قيم ملكوت اللّه.

نأمل أن يقود خطانا يسوع، وسيط العهد الجديد، بنور إنجيل مجده، فنبني معًا حضارة المحبّة.

† بشاره الراعي
مطران جبيل

عيد الغطاس والأحد الأوّل

إنجيل القدّيس يوحنّا ١/٢٩-٧٤

خلق جديد وحضور متجسّد

كان أوّل ظهور علنيّ ليسوع يوم اعتمد على يد يوحنّا المعمدان في نهر الأردن. لقد ملأ الروح القدس بشريّته واستقرّ عليه بشبه حمامة، وأعلن الآب من السماء، بالصوت، بنوّته الإلهيّة والرضى عن رسالته (متّى ٣/١٣-١٧؛ مر ١/٩-١١؛ لو ٣/٢١-٢٢). وشهد له يوحنّا: "هذا هو حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم... ويعمّد بالروح القدس... إنّه ابن الله".

■ أوّلاً: الغطاس ومضامينه

١. الغطاس تدشين لرسالة الفداء ومسيرة شعب تائب

باعتماد يسوع في نهر الأردن على يد يوحنّا، بدأت حياته العلنيّة. يحسب نفسه بين الخطأة، ويسير معهم نحو يوحنّا لقبول "معموديّة الماء للتوبة" (لو ٣/١١)، لا كشريك للخطأة في معاصيهم، بل كحامل خطاياهم ومتشفّع من أجلهم بوصفه عبد الله المتألّم، كما تنبّأ أشعيا قبل ٧٠٠ سنة: "هوذا عبدي... كحمل سيق إلى الذبح ولم يفتح فاه... أسلم نفسه للموت، وأُحصي مع الخطأة، وحمل خطايا الكثيرين، وشفع في معاصيهم" (أشعيا

٥٣/٧ و١٢). في غداة اعتماده جاءت شهادة يوحنّا تحقّق النبوءة: **"هذا هو حمل اللّه الذي يحمل خطيئة العالم"**. لقد انتهى معه الفصح القديم الذي كانت تُقرَّب فيه ذبيحة حمل من البهائم كفّارةً عن الخطايا وفداءً (خروج ١٢/١ -١٤)، ليبدأ فصح العهد الجديد، يسوع ابن اللّه فادي الانسان.

استبق يسوع "معموديّة" موته على الصليب (مر ٣٨/١٠)، خاضعاً كليًّا لإرادة أبيه، راضيًا، عن حبّ، بمعموديّة الموت لمغفرة الخطايا (أنظر متّى ٣٩/٢٦). لفظة **"غطاس"** تعني النزول في الماء والخروج منه، استباقًا للنزول إلى قبر الموت والقيامة، كمقدّمة للخلق الجديد. هذا "الغطاس" سيتواصل في معموديّتنا، وهو رمز المشاركة في موت المسيح وقيامته، من أجل الولادة الثانية لحياة جديدة، على ما قال يسوع لنيقوديمس: "ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت اللّه، إلاّ إذا وُلد ثانية من الماء والروح" (يو ٥/٣).

ولفظة **"دِنْح"**، من الأصل السريانيّ، تعني ظهور سرّ المسيح والثالوث القدّوس. فبسبب قبوله رسالة الفداء، كان جواب الآب المعلن براءة يسوع وبنوّته الإلهيّة والرضى عن رسالته الخلاصيّة: "هذا هو ابني الحبيب الذي عنه رضيت" (متّى ١٧/٣)، واعتلن عمل الروح القدس الذي عضد بشريّة ابن اللّه في إنجاز رسالة الفداء، "بالاستقرار عليه" (يو ٣٢/١- ٣٣). فتحقّقت نبوءة أشعيا: "هوذا فتاي الذي أعضده، مختاري الذي رضيت عنه نفسي، قد جعلت روحي عليه، فهو يبدي الحقّ للأمم" (أشعيا ١/٤٢). وانفتحت السماوات، التي كانت قد أغلقتها خطيئة آدم، لتعلن تقديس الجنس البشريّ بمعموديّة الماء والروح (أنظر التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٥٣٦- ٥٣٧).

غطاس ودنح، معموديّة وظهور، الاثنان متواصلان فينا. **بالمعموديّة** نولد الولادة الثانية أبناء للّه بالابن الوحيد، ونندمج في سرّ الكنيسة أعضاء حيّة في جسد المسيح، ونستعيد بهاء صورة اللّه والشبه الإلهيّ (التعليم المسيحيّ، ٧١٩-٧٢٠). **أمّا الظهور** ففي الاسم الذي يُعطى للمعمّد، الاسم المسيحيّ واسمه الخاص، يعطى له اسمًا جديدًا أبديًّا مكتوبًا على جبينه مع اسم الحمل وأبيه (رؤيا ٢/١٧؛ ١٤/١)، وفي أعماقه صوت يقول: "لا تخف، فإنّي قد افتديتك ودعوتك باسمك، إنّك لي" (أشعيا ٤٣/١). ويُدَلّ على هذا الظهور بالزيّاح العلنيّ.

معموديّة يسوع هي **مسيرة شعب تائب** يلتقيه اللّه، كما روى لوقا في إنجيله: "كان لمّا اعتمد الشعب كلّه اعتمد يسوع أيضًا، وكان يصلّي، فانفتحت السماء ونزل الروح القدس عليه في صورة جسم كأنّه حمامة، وأتى صوت من السماء يقول: "أنت ابني الحبيب، عنك رضيت" (لو ٣/٢١- ٢٢). هذا يجري في معموديّتنا أسراريًّا.

يشرح بولس الرسول أبعاد مسيرة يسوع نحو معموديّة التوبة متضامنًا مع الشعب الخاطىء: "جعله اللّه خطيئة من أجلنا، هو الذي لم يعرف الخطيئة، لكي نصبح به برَّ اللّه" (٢ كور٥/٢١). في الواقع، تجسّد ابن اللّه آخذًا ضعف طبيعتنا الساقطة والسائرة نحو الموت بسبب خطيئة آدم وخطايا جميع الناس (أنظر روم ٨/١٣)، وظهر بصورة عبد، "الخادم المتألّم"، وأطاع إرادة الآب الخلاصيّة موتًا على الصليب (أنظر فيليبّي ٢/٧-٨)، فداءً عن الجنس البشريّ وخلاصًا له، على ما يقول بطرس الرسول: "لم تُفتَدوا بالفاني من الفضّة أو الذهب من سيرتكم الباطلة، بل بدم كريم، دم الحمل الذي لا عيب فيه ولا دنس، دم المسيح" (١ بطرس ١/١٨-١٩).

إنّ استمراريّة ذبيحة يسوع على الصليب، في القدّاس الإلهيّ، هي استمراريّة **مسيرة الكنيسة نحو التوبة**، عبر أسرار الخلاص، ولاسيّما المعموديّة والتوبة ومسحة المرضى، المعروفة بأسرار الشفاء. تتجلّى هذه المسيرة الجَماعيّة نحو التوبة من خلال أفراد يتوبون إلى اللّه، ونسّاك ورهبان وراهبات ومؤمنين في العالم يلتزمون بروح الزهد والاماتة والتقشّف والصوم وأعمال الرحمة والمحبّة، ومن خلال جماعات ومنظّمات وحركات تصلّي وتخدم المحبّة وتقوم بمسيرات توبة وتجدّد. وتتجلّى مسيرة التوبة في آلام الأبرياء، من مرضى ومعاقين وفقراء ومستضعفين وسائر ضحايا الظلم والاضطهاد والتسلّط والتمييز العنصريّ.

إنّ ما يخيّم حاليًّا على العالم من حروب وكوارث وأحقاد وعداوات ونزاعات، لا يمكن أن يحلّ بالعنف والارهاب، بل يقتضي مبادرات توبة وغفران. من الضرورة اليوم أن يتداعى المؤمنون إلى مثل هذه المبادرات. "فمثل هذه الأرواح الشرّيرة السائدة لا تُطرد إلاّ بالصوم والصلاة" (مر ٩/٢٩). ولا بدّ من تنظيم ساعات سجود أمام القربان في الرعايا، وتلاوة ورديّة العذراء لهذه الغاية.

كان **نداء يوحنّا المعمدان** في بريّة اليهوديّة: "توبوا فقد اقترب ملكوت السماء... أثمروا ثمرًا يليق بالتوبة... كلّ شجرة لا تثمر ثمرًا صالحًا تُقطع وترمى في النار" (متّى ٣/٢ و٨ و١٠). وما زال يتواصل النداء عينه في بريّة المجتمع، في بريّة العقول والضمائر والقلوب. النداء إيّاه وجّهه **الربّ يسوع**: "لقد تمّ الزمان، وملكوت اللّه اقترب. توبوا وآمنوا بالانجيل" (مر ١/١٥). وعندما "أرسل **تلاميذه الاثني عشر**، وأعطاهم السلطان على الأرواح النجسة ليطردوها، وعلى الأوجاع والأمراض ليشفوا منها" (متّى ١/١٠)، فانطلقوا يعظون داعين إلى التوبة، وكانوا يطردون الكثير من

الأرواح النجسة، ويمسحون بالزيت الكثير من المرضى ويشفونهم (مر ٦/١٢- ١٣). وهكذا كان يتحقّق "الخلق الجديد" في البشريّة، بواسطة "التوبة والإيمان بالانجيل" (مر ١/١٥)، ويحلّ السلام في القلوب والعائلات والمجتمعات.

تنمو "الخليقة الجديدة" المولودة من المعموديّة، متقدّسة بالروح القدس والميرون، ومتجدّدة بالتوبة، وتغتذي من الأفخارستيا حيث "الحمل" يعدّ للكنيسة عروسته، ولجماعة المؤمنين وليمة عرسه الخلاصيّ على الأرض وفي ملكوت السماء، وقد افتداها وأحبّها وأسلم نفسه من أجلها (أفسس ٥-٢٥-٢٦).

٢. يسوع ابن الله

هذا اللقب يعني، في شهادة يوحنّا المعمدان، ما كان يعنيه في العهد القديم، أي البنوّة بالتبنّي التي تقيم بين الله وخليقته علاقات مودّة وحياة حميمة خاصّة. فلا يتعدّى اللقب بشريّة الانسان. وقد كان يطلق على **الملوك** مثل سليمان: "يا داود أقيم من يخلفك من نسلك، وأنا أثبّت أبناء للربّ إلهكم... لأنّك شعب مقدّس للربّ إلهك، وقد اختارك الربّ لتكون له شعبًا خاصًّا من بين جميع الشعوب التي على وجه الأرض" (تثنية ١٤/١-٢)؛ وعلى **الشعب المختار**: "إسرائيل هو ابني البكر. قلت لك: أطلق ابني ليعبدني، وإنْ أبيت أن تطلقه فهاأنذا قاتل ابنك البكر" (خروج ٤/٢٢-٢٣)، **وعلى ملائكة الله** الذين يشكّلون بلاطه الملوكيّ: "واتّفق يوماً أن دخل بنو الله ليمثلوا أمام الربّ" (أيّوب ١/٦).

بهذا المعنى نحن أصبحنا بالمعموديّة **"أبناء الله"**، حسب لاهوت القدّيس بولس الرسول. الروح القدس الحالّ فينا يجعلنا **خاصّة الله**: "من

لم يكن فيه روح المسيح فما هو من خاصّته" (روم ٨-٩)، **وأبناء اللّه**: "إنّ الذين ينقادون لروح اللّه يكونون أبناء اللّه" (روم ٨/١٤-١٦)، **وورثة اللّه شركاء المسيح في الميراث**: "إذا شاركناه في الآمه، نشاركه في مجده أيضًا" (روم ٨/١٧).

بنوّتنا للّه تأتينا من ابن اللّه المتأنّس: "أرسل اللّه ابنه مولودًا لامرأة، مولودًا في حكم الشريعة ليفتدي الذين هم في حكم الشريعة، فنحظى بالتبنّي" (غلاطية ٤/٤-٥). هذا ما تفعله فينا المعموديّة.

لكنّ شهادة يوحنّا تضيف على مفهوم العهد القديم **وجهًا إلهيًّا يسمو الحدود البشريّة**: "يأتي بعدي رجل قد تقدّمني، لأنّه كان قبلي". لم يكن قبله من ناحية التاريخ البشريّ، بل من ناحية الوجود الإلهيّ، وشهادته تستند إلى إعلان الصوت من السماء: "أنت ابني الحبيب". وعندما يعترف سمعان-بطرس أنّ يسوع "هو المسيح ابن اللّه الحيّ"، فإنّه بفضل الوحي الإلهيّ يعلن كلّ ألوهيّته (متّى ١٦/١٦-١٧). **والسيّد المسيح** يسمّي نفسه "الابن" بمفهوم البنوّة الإلهيّة الكاملة: هو الابن الذي يعرف الآب (متّى ١١/٢٧)، ويفوق كلّ الخدّام الذين أرسلهم اللّه قبله (متّى ٢١/٣٣-٣٩). ويميّز بين بنوّته وبنوّة التلاميذ: "إنّي صاعد إلى أبي وأبيكم" (يو ٢٠/١٧)، فلم يستعمل قط صيغة أبينا لتشمله معهم، بل إيّاهم وحدهم: "كونوا أنتم كاملين، كما أنّ أباكم السماويّ كامل هو" (متّى ٥/٤٨)، "لأنّ أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه" (متّى ٦/٨)، "صلّوا أنتم هذه الصلاة: أبانا الذي في السموات..." (متّى ٦/٩). عندما يعنيه الأمر يقول "أبي": "ليس من يقول لي يا ربّ يا ربّ يدخل ملكوت السماوات، بل من يعمل بمشيئة أبي الذي في السماوات" (متّى ٧/٢١).

من الناحية الخلقيّة، تقتضي بنوّتنا للّه الطاعة له، والاتّكال على عنايته الوالديّة، والبحث عن إرادته والسماع لنداءاته، والقيام بالرسالة التي أوكلها إلينا، والمحافظة على الشبه الإلهيّ فينا. أمّا قوّتنا فنستمدّها من **الابن الوحيد**، الابن بامتياز.

من الناحية النهيويّة الاسكاتولوجيّة، نعلم أنّنا نعود إلى اللّه، خالقنا ومخلّصنا ومقدّسنا. **الكنيسة** المنظورة ترمز إلى البيت الأبويّ الذي يسير نحوه شعب اللّه. إنّها بيت **جميع أبناء اللّه**، المفتوح على مصراعيه ليستقبل الجميع. في هذا البيت نعيش بنوّتنا للّه بكلّ أبعادها ومقتضياتها، وفي طقوسنا نستبق ليتورجيّا السماء، كما يرويها يوحنّا الرسول في كتاب الرؤيا (الفصل ١٩).

■ ثانيًا: الخطّة الراعويّة

بمعموديّته في نهر الأردن وباعتلان سرّه، وسرّ الثالوث القدّوس، وسرّ والانسان "الخليقة الجديدة"، بدأ يسوع حياته العامّة، وهي المرحلة الثانية من حياته بعد تجسّده وطفولته. نحن أيضًا، إذ نتذكّر معموديّتنا وما جرى فينا، نبدأ حضورًا جديدًا مع المجمع البطريركيّ المارونيّ؛ فهو يذكّرنا بالماضي هويّة، ودعوة ورسالة؛ ويجدّدنا في الحاضر أشخاصًا وهيكليّات؛ ويطلقنا لحضور في العالم من أجل مستقبل أفضل.

الخطّة الراعويّة تبدأ من إعطاء زمن الغطاس مفهومه الروحيّ في حياتنا الشخصيّة والجَماعيّة: في الرعيّة، وفي العائلة، وفي الجماعة الرهبانيّة، وفي المنظّمة الرسوليّة، وفي المؤسّسة الثقافيّة والاجتماعيّة والرياضيّة.

أ) نتساءل حول كيفيّة عيش هويّتنا المسيحيّة: "**خليقة جديدة بالمسيح**"، في ضوء ثمار الروح، التي يتكلّم عنها بولس الرسول: المحبّة والفرح

والسلام وطول الأناة وروح الخدمة والجودة واللطف والثقة بالآخرين والسيطرة على الذات (غلا ٥/٢٢-٢٣).

ب) بما أنّ هويّتنا المسيحيّة تتميّز بطابع الهويّة المارونيّة الخلقيدونيّة القائمة على سرّ التجسّد، وهي أنّ في المسيح طبيعتين كاملتين، إلهيّة وإنسانيّة، فإنّ المجمع البطريركيّ المارونيّ يوصي بالعيش بموجب هويّتنا المسيحيّة الأنطاكيّة حسب الصيغة الخلقيدونيّة (٤٥١)؛ ما يعني أن نعمل مع شركائنا في المواطنيّة والمصير من أجل ترقّي الانسان، كلّ إنسان، ثقافيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا ووطنيًّا، لكي يستعيد، بيسوع المسيح، كرامته وصورة اللّه فيه. هذه الهويّة تترجم "بالحضور المتجسّد"، بحيث نطبع شؤوننا الزمنيّة بقيم الانجيل، ونجعل من كلّ إنسان محورًا لهذه الشؤون (النصّ المجمعيّ رقم ٢: هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها، عدد ١٧ و٣٨).

تتشاور المجالس الراعويّة واللجان والجماعات الرعويّة والديريّة والمنظّمات الرسوليّة والعائلات، بشأن تحديد مجالات الحضور المتجسّد وما تقتضي من مبادرات فرديّة وجماعيّة، يلتزم بها الجميع.

ج) نعزّز المعنى الروحيّ لتبريك المياه في عيد الغطاس، رمزًا لينبوع الحياة الجديدة من المعموديّة، والاغتسال من أدناس الخطيئة، والحماية الإلهيّة من الأرواح الشرّيرة، والتماس النعمة الإلهيّة التي تقدّسنا وتحمينا من كلّ شرّ في النفس والجسد.

صلاة

نشكرك أيّها الآب القدّوس، لأنّك كشفت لنا وجهك بالابن الوحيد يسوع المسيح وبه خلّصتنا، فصرنا لك أبناء بالمعموديّة، وأفضت علينا بواسطته روحك القدّوس الذي جعلنا بالميرون هياكل له.

أعطنا أيّها النور الحقيقيّ، يسوع المسيح، أن نسير كأبناء النور في الحقيقة والنعمة والمحبّة.

نسألك أيّها الروح الحيّ والمحيي، أن تجدّد فينا الانسان الجديد المجمّل بثمار الروح، فنلبسَ المسيح، نحن الذين اعتمدنا بالمسيح، لمجد اللّه وبهاء صورته فينا وفي المجتمع البشريّ. آمين.

الأحد الثاني بعد الدّنح

إنجيل القدّيس يوحنّا ١/٣٥-٤٢

اللقاء بيسوع يوحي ويغيّر

الدّنح زمن ظهور سرّ المسيح وتجلّيه فينا ومن خلالنا لقد ظهر في شهادة المعمدان أنّه "حمل اللّه" (يو ١/٣٦)، وفي شهادة أندراوس "أنّه المسيح" (يو ١/٤١)، وفي تبديل هويّة سمعان بن يونا (يو ١/٤٢) أنّه صانع الخلق الجديد، على ما قال عن نفسه ليوحنّا الرسول في رؤياه: "ها أنا جاعل كلّ شيء جديدًا" (رؤيا ٢١/٥)، وأكّد بولس الرسول: "كلّ من هو بالمسيح الآن، هو خليقة جديدة" (٢ كور ٥/١٧).

■ أوّلاً: أبعاد النصّ الانجيليّ

١. يسوع حمل اللّه

لماذا، لمّا رأى يوحنّا المعمدان يسوع ماشيًا، سمّاه "حمل اللّه" (يو ١/٣٦)؟ كان ذلك غداة نقاشه مع البعثة من الكهنة واللاويين الذين أرسلهم اليهود من أورشليم ليسألوه: من أنت؟ أأنت المسيح؟ أأنت إيليّا؟ أأنت النبيّ؟ فأجاب: لا. بل أنا صوت صارخ في البرّيّة: مهّدوا طريق الربّ. وسألوه، لماذا، إذًا، تعمّد، إن لم تكن المسيح، ولا إيليّا، ولا النبيّ؟ (يو ١/١٩-٢٦).

كان يعتبره تلاميذه حملاً بين ذئاب برّيّة مجتمعهم، لوداعته وتضحيته وتقشّفه ومناداته بمعموديّة التوبة، ولغفران الخطايا والتكفير عنها (أنظر مرقس ١/٢-٦). فلمّا رأى يسوع ماشياً قال لتلميذيه: "هذا هو حمل الله"، لينفي عن نفسه هذه الصفة، أمام من هو حمل الله بامتياز. هذا كان نهجه، أعلنه يومًا للتلاميذ: "ينبغي لذاك أن ينمو، ولي أن أنقص، لأنّ الذي أتى من فوق، هو فوق الكلّ، والذي هو من الأرض أرضيّ هو، وأرضيًّا يتكلّم" (يو ٣/٣٠-٣١). يسوع هو حمل الله بامتياز بالنسبة إلى المعمدان وإلينا. ذلك أنّ الناس يقولون عن الشخص الذي يعيش بتواضع ويضحّي ويسالم: "هذا حمل وديع". ويسوع، عندما أرسل تلاميذه للرسالة في برّيّة هذا العالم، قال: "ها أنا مرسلكم كالخراف بين الذئاب، كونوا حكماء كالحيّات، وودعاء كالحمام" (متّى ١٠/١٦).

قال المعمدان عن يسوع إنّه "**حمل الله**". واكتشف، يوم معموديّته، أنّه ابن الله القدّوس الذي لا تشوبه خطيئة، والممتلىء من الروح القدس. صورة "حمل الله" مأخوذة من الكتب المقدّسة في العهد القديم، ولاسيّما من سفر الخروج (١٢/١-٤) ومن نبوءة أشعيا (١٥/١٣-١٥)؛ وترمز إلى فادي الجنس البشريّ، يسوع المسيح؛ لكنّها في الوقت نفسه تحقيق لما تعني واكتمال. فالمسيح هو حمل الفصح الجديد، وعبدالله المتألّم الذي يحمل خطايا جميع الناس، ويكفّر عنها بآلامه البريئة وموته على الصليب، ويزيلها برحمة من الآب، وبقوّة من الروح القدس الذي يبعث الحياة الإلهيّة فينا.

إنّه حمل الفصح الجديد بالنسبة إلى الفصح اليهوديّ القديم الذي يصفه سفر الخروج (١٢/١-١٤). سيقول عنه بولس الرسول في صلبه وموته: "لقد ذُبح حمل فصحنا، وهو المسيح" (١ كور ٥/٧). ورأى يوحنّا تحقيق الحمل الفصحيّ في المسيح المصلوب، إذ قال، عندما لم يكسر الجنود ساقيه مثل

اللصّين المصلوبين معه: "لن يكسر له عظم" (يو١٩/٣٦)، مثلما قضت شريعة موسى بالنسبة إلى حمل الفصح: "وعظمًا لا تكسروا منه" (خروج ١٢/٤٦).

عندما كان القدّيس أغسطينوس يتأمّل في سرّ المسيح، حمل الفصح المجيد، الذي افتدى خطيئة البشر بموته، وانتصر على الموت بقيامته، تساءل: "ما هو هذا الحمل الذي تخافه الذئاب؟ ما هذا الحمل المقتول الذي يقتل الأسد؟ في الواقع، قال بطرس الرسول إنّ "الشيطان عدوّكم يزأر كالأسد، ويجول في طلب من يبتلعه. فقاوموه أنتم راسخين في الايمان بالمسيح" (١ بطرس ٥/٨-٩؛ أغسطينوس، تعليق على إنجيل يوحنّا، العظة ٧).

لقد تنبّأ أشعيا عن حمل الفصح هذا وسمّاه "**عبد يهوه**"، "**عبدالله المتألّم**"، (أشعيا ٥٢/١٣-١٥؛ ٥٣/٢-٣)، وقال عنه: "لقد حمل آلامنا واحتمل أوجاعنا. طُعن بسبب معاصينا، وسُحق بسبب آثامنا، ونزل به العقاب من أجل سلامنا، وبجرحه شفينا. ألقى الربّ عليه إثم كلّنا. عومل بقسوة فتواضع ولم يفتح فاه. كحمل سيق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام الذين يجزّونها، ولم يفتح فاه" (٥٣/٤-٧). إنّه يسوع المسيح الذي أسلم نفسه للموت فداء عن البشر، فاستبق الآب اعلان رضاه عنه على نهر الأردن، والروح القدس ملأ بشريّته قوّة لرسالة الفداء، والسماوات انفتحت بعد أن أغلقتها خطيئة آدم، والمياه تقدّست بنزول يسوع إليها. فكان الكلّ العلامة والأداة للخلق الجديد بمعموديّة الماء والروح (يو ٣/٥-٧).

بالمعموديّة، يُصَوَّر المسيحيّ في كيانه الداخليّ على شبه يسوع في موته وقيامته: إنّه يموت عن حياة الخطيئة، ويقوم لحياة النعمة. يموت فيه الانسان العتيق، ويحيا الانسان الجديد. ما يقتضي منه أن يدخل في سرّ الاتّضاع والتوبة، وأن ينزل إلى الماء مع يسوع، ليصعد معه مولودًا ثانية من

الماء والروح، فيصبح، في الابن الوحيد، ابنًا حبيبًا للآب، ويعيش وفقًا للحياة الجديدة (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٥٣٧).

٢. اللقاء بيسوع يكشف ويبدّل

يسوع يُعرف بالاختبار الشخصيّ: "تعاليا وانظرا" (يو ١/٣٩). بهذه الدعوة أجاب على سؤال تلميذَي المعمدان، اللذين تبعاه عند سماع شهادة يوحنّا: "هذا هو حمل اللّه". فأقاما معه طوالَ النهار. ولمّا رجعا، أعلن أندراوس لسمعان ما كُشف لهما: "لقد وجدنا المسيح" (يو ١-٤١). "حمل اللّه"، المسيح المنتظر، الذي كتب عنه الأنبياء.

آمن التلميذان بفضل ما سمعا من قول بولس الرسول: "الايمان من السَماع، والسَماع من كلمة اللّه" (روم ١٠/١٧). المبادرة الأولى هي من المسيح، كلمة اللّه المتكلّمة إلى كلّ إنسان (القدّيس برنردوس): "ماذا تريدان؟ تعاليا وانظرا". هذا أصل مسيرة الايمان. تبعاه عند سماعهما قول المعمدان، متسائلَين، فساءلهما هو؛ وتبعاه باحثين، فكان هو الذي يبحث عنهما. هذه قصّتنا مع المسيح (أنظر رسالة البابا يوحنّا بولس الثاني إلى الشبيبة في ١٥ آب ١٩٩٦، إعدادًا للأيّام العالميّة في باريس ١٩٩٧، بعنوان: "يا معلّم أين تقيم؟ تعاليا وأنظرا"). وكان سمعان بن يونا ذروة بحثه، وقد أراده نائبًا له على رأس الكنيسة، والصخرة التي تبنى عليها، بفضل إيمانه. فلمّا أتى سمعان إلى يسوع، على شهادة أخيه أندراوس، بادره الربّ بنظرة ثاقبة حتّى الأعماق، وقال: "أنت سمعان بن يونا. ستدعى الصخرة- بطرس "Petros باليونانيّة، "وكيفا" بالسريانيّة (يو ١/٤٢).

لقد أعلن يسوع معموديّة سمعان- بطرس ومفاعيلها، قبل حدوثها في سرّ فصحه. أعلن ولادته الجديدة، وتغيير هويّته العتيقة. وبعد أيّام قليلة التقى

يسوع سمعان وأندراوس على شاطىء بحر الجليل، يلقيان الشباك في البحر، لأنّهما كانا صيّادَين، فقال لهما: " هلمّ اتبعاني، أجعلْكما صيّادَي الناس. فتركا شباكهما للحال وتبعاه" (متّى ٤/١٨-١٩).

نحن نتساءل عن المسيح، فإذا به يسائلنا: "ماذا تريدان"؟ نبحث عنه فيجدنا هو، ونحن نجد ذواتنا فيه: "أنت سمعان بن يونا. ستدعى الصخرة". بعد قيامته، لن نسأله: "أين تقيم؟" أمّا هو فيوجّه الدعوة إلى الجميع، إلى كلّ واحد: "تعال وانظر". إنّه حيّ وحاضر أبدًا في كنيسته: حاضر في الأفخارستيّا، خبزًا حيًّا نازلاً من السماء، هو خبز كلامه وخبز جسده ودمه لحياة المؤمنين والعالم (يو ٦/٥٠)؛ حاضر بشخص الكاهن خادم السّر، الناطق والفاعل باسمه وبشخصه؛ حاضر في الأسرار، فعندما أحد يعمّد، المسيح نفسه هو الذي يعمّد؛ حاضر في الجماعة المصلّية كما وعد: "إذا اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي، أكون هناك بينهم" (دستور الليتورجيّا، ٧).

غير أنّ **عمر الشباب** يبقى المناسبة بامتياز لطرح السؤال الحاسم إيّاه، لأنّه عمر البحث عن الذات والمستقبل، عمر القرارات البطوليّة، ولكون الشباب "حرّاس الصباح" و "ومستكشفي المستقبل" (البابا يوحنّا بولس الثاني). إنّ آباء الجمعيّة الحادية عشرة لسينودس الأساقفة التي التأمت في روما (٢-٢٣ تشرين الأوّل ٢٠٠٥) بعنوان: "الأفخارستيّا ينبوع حياة الكنيسة ورسالتها وقمّتهما"، استعادوا في ندائهم الأخير كلمة البابا بندكتوس السادس عشر للشبيبة: "لا تخافوا من المسيح. إنّه لا ينتزع شيئًا، بل يعطي كلّ شيء. استقوا من ينبوع الطاقة الإلهيّة التي هي الأفخارستيّا المقدّسة لإجراء التغييرات الضروريّة، ولاسيّما لتغيير ما هو ظلم وعنف" (النداء، ٢١).

■ ثانيًا: الخطّة الراعويّة

الخطّة الراعويّة لهذا الأسبوع، كما تمليها كلمة الانجيل، تتناول الليتورجيّا التي هي مكان اللقاء بيسوع وأداته. ذهاب تلميذَي يوحنّا المعمدان مع يسوع، ورؤيتهما أين يقيم، ومكوثهما معه طوالَ النهار، واكتشافهما أنّه المسيح، صورة مسبقة عن الليتورجيّا الإلهيّة، التي هي مكان اللقاء بالمسيح والثالوث القدّوس، وأداة هذا اللقاء. الليتورجيّا هي مدرسة الايمان (أنظر المجمع البطريركيّ المارونيّ، النصّ ١٢ : الليتورجيّا).

فعملاً بتوصيات المجمع البطريركيّ المارونيّ:

١) يتوقّف المؤمنون معًا في لقائهم الأسبوعيّ، في الرعيّة، في العائلة، في الجماعة الديريّة، في المنظمة الرسوليّة ولجنة الشبيبة، وسواهما من الجماعات، عند الحدثين الأساسيّين في حياة يسوع المسيح العلنيّة ورسالته: رسالة إعلان إنجيل الفداء بعمادِه في الأردن، وتحقيق الفداء بموته على الصليب وقيامته. يفكّرون معًا في الوسائل والمبادرات التي تتيح لهم إمكانيّة أن يعيشوا **مفاعيل المعموديّة**:

أ) أن يحيوا في المسيح متّحدين به، بواسطة كلمته التي تنير العقول بأنوار الحقيقة، ونعمته التي تشفي ضعفنا، ومحبّته المسكوبة في القلوب بالروح القدس وهي "محبّة تستحثّنا" (٢ كور٥/١٤).

ب) أن يؤدّوا الرسالة الموكولة إليهم بمسحة الميرون، وهي مثلّثة: إعلان بشرى الحياة الجديدة (البُعد النبويّ)، وتحويل الأعمال والنشاطات الزمنيّة إلى قرابين روحيّة (البُعد الكهنوتيّ)، والشهادة لمحبّة المسيح بإحلال السلام والعدالة والحريّة (البُعد الملوكيّ).

في ضوء هذه المفاعيل يتّخذ الأفراد والجماعات مبادرات عمليّة

تكون العلامة لثمار الفداء، والأداة لتعزيز هذه الثمار في مجتمعهم (النصّ ١٣ عدد ١٨).

٢) إنطلاقًا من إدراك المؤمنين أنّ المسيح حاضر في كلامه (فعندما نقرأه أو نسمعه، فهو المسيح نفسه يتكلّم (القدّيس إيرونيموس))، تتهيّأ الجماعات المذكورة **للمشاركة الفعّالة في الاحتفالات الليتورجيّة** ولاسيّما في القدّاس الإلهيّ، وتهيّئه، بحيث تكون هذه الاحتفالات الواحة الفضلى للقاء المسيح عبر كلامه: تصغي إليه، تفسّره، تتأمّل فيه، تتبادل الأفكار والمبادرات، تجعله ينبوع وحيها، ومصدر رسالتها، ومرتكز شهادتها.

إنّ بلوغ هذه الغاية يقتضي:

أ- جعل الاحتفال الليتورجيّ احتفالاً للشعب، كما يوصي المجمع البطريركيّ، فلا تبقى جماعة المؤمنين غريبة، مشاهدة ومستمعة وصامتة. على الكاهن المحتفل والشمّاس والمنشّط الليتورجيّ مساعدة الشعب على المشاركة الواعية والتقويّة والفعاّلة في التراتيل والزيّاحات والصلوات، مع ما يستوجب ذلك من تنشئة لفهم رموز الليتورجيّا وأبعادها اللاهوتيّة.

ب- بما أنّ الليتورجيّا هي للشعب، فلا يحقّ للجوقة أن تأخذ مكان الشعب. بل ينبغي أن تساعد الجماعة المصلّية على المشاركة في الترانيم والألحان وفق الأصول الموسيقيّة وبروحانيّة وخشوع، ما يقتضي أن تقوم الجوقة بخدمة الاحتفال باتقان وتقوى ، فتتناغم الأصوات العذبة مع القلوب المصلّية.
ترسم الجماعات المعنيّة خطّة عمل لتحقيق المشاركة الواعية والفاعلة (النصّ ١٣، عدد ٣٦، ٣٩، ٤٠).

صلاة

إليك، يا يسوع ربّنا، ننظر لتنيرنا أيّها النور الآتي إلى العالم، فندرك الدعوة إلى اتّباعك، وسماع كلامك الحيّ، والدخول في شركة حياة معك. إنجيلك قوّة وفرح لنا. أحلّ فينا روحك القدّوس، فيغيّرَ حياتنا ويفرّحَها بالأخوّة لجميع الناس، والخدمة السخيّة، والغيرة في العمل الرسوليّ، فنحقّق خير البشريّة في الحقيقة والحريّة والعدل والمحبّة. هكذا إليك نصلّي، أيّها المسيح، أنت الذي تحيا وتملك مع أبيك وروحك القدّوس إلى الأبد. آمين. (صلاة البابا بولس السادس).

الأحد الثالث بعد الدّنح

إنجيل القدّيس يوحنّا ٣/١-٨

المعموديّة والمسلك المسيحيّ

يحدّثنا الربّ يسوع عن الولادة الجديدة من الماء والروح بالمعموديّة. وهي ولادة تؤهّل المعمّد ليرى سرّ ملكوت اللّه المتجلّي في شخص المسيح، وتدخّله في هذا الملكوت الذي يجد بدايته في الكنيسة واكتماله في السماء، عند نهاية الأزمنة.

■ أوّلاً: شرح نصّ الانجيل

١. معموديّة الشوق والمعموديّة الأسراريّة

كان يسوع في أورشليم، بمناسبة عيد الفصح، بعد أن حوّل الماء خمرًا في عرس قانا الجليل، وبعد أن شهد له يوحنّا المعمدان أنّه "حمل اللّه الذي يحمل خطيئة العالم" (يو ١/٢٩)، وأنّه "يعمّد بالروح القدس" (يو ١/٣٣). قصده ليلاً نيقوديمس، رئيس اليهود في أورشليم، بعيدًا عن الأنظار، تجنّبًا للحساسيّات والانتقادات من قبل اليهود، وأعلن "فعل إيمانه" بيسوع: "**رابي، يا معلّم، نحن نعلم أنّك جئت من اللّه معلّمًا، لأنّه لا أحد يقدر أن** يعمل الآيات التي أنت تعملها ما لم يكن اللّه معه" (يو ٣/٢).

كان هذا الايمان بالمسيح كافيًا، ليعلن الربّ يسوع بطريقة غير مباشرة ولادة نيقوديمس الجديدة **بمعموديّة الشوق:** "الحقّ الحقّ أقول لك: لا أحد يقدر أن يرى **ملكوت الله** ما لم يولد من جديد" (يو ٣/٣).

في أساس معموديّة الشوق الايمان بالمسيح. **فالمعموديّة هي سرّ الايمان، وهي** أداته وعلامته، على ما يقول الربّ يسوع: "من آمن واعتمد يخلص" (مر ١٦/١٦). وهذا ما قاله أيضًا بطرس الرسول لحارس سجن فيليبّي حيث اعتقل مع سيلا: "آمن بالربّ يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك" (أعمال ٣١/٨٦). نقرأ في "التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة" أنّ الايمان المطلوب للمعموديّة ليس الايمان الكامل والناضج، بل بداية إيمان ينبغي أن ينمو بعد المعموديّة (عدد ١٢٥٣).

معموديّة الشوق هي أنّ كلّ إنسان يجهل إنجيل المسيح والكنيسة، لكنّه يبحث عن الحقيقة ويصنع إرادة اللّه وفقًا لفهمه لها، يستطيع أن يخلص. ذلك أنّه يوجد لديه إرادة ضمنيّة وشوق لقبول المعموديّة لو استطاع إليها سبيلاً أو أدرك ضرورتها (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٢٦٠). وتعلّم الكنيسة أنّ "كلّ الذين لم يعرفوها، لكنّهم عاشوا بموجب إلهامات النعمة الإلهيّة باحثين عن اللّه وباذلين جهدهم لإتمام إرادته، إنّما يخلصون بالمسيح ولو لم يعتمدوا" (المرجع نفسه، ١٢٨١؛ الدستور العقائدي "في الكنيسة"، ١٦).

اقتبل نيقوديمس معموديّة الشوق عندما أعلن إيمانه بالمسيح **"فرأى ملكوت اللّه"** في شخص يسوع بالذات.

أمّا المعموديّة الأسراريّة، التي حدّث يسوع عنها نيقوديموس، فتتمّ بالماء والروح و**"تُدخل"** المعمَّد في عمق الشركة مع اللّه، وتجعله عضوًا حيًّا هو الكنيسة: "الحقّ الحقّ أقول لك: لا أحد يقدر أن **يدخل ملكوت اللّه** ما لم يولد من الماء والروح" (يو ٥/٣).

إنّ كلّ معمّد، سواء بمعموديّة الشوق أو بالمعموديّة الأسراريّة، مدعوّ ليعيش بحسب مقتضيات الروح الإلهيّ الذي ناله، "فالمولود من الجسد هو جسد، والمولود من الروح هو روح" (يو ٣/٦). كشف بولس الرسول أنّ هذه المقتضيات هي "ثمر الروح" أي: "المحبّة والفرح والسلام والأناة واللطف والصلاح والثقة والوداعة والعفاف" (غلاطية ٥/٢٢-٢٤). وفي المقابل كشف بولس أنّ "أعمال الجسد" واضحة، وهي: "الفجور والنجاسة والعهر وعبادة الأوثان والسّحر والعداوة والحسد والسّكر وما أشبه ذلك". وأضاف "أنبّهكم أنّ الذين يعملون مثل هذه الأعمال لن يرثوا ملكوت اللّه" (غلاطية ٥/١٩-٢١).

٢. ملكوت اللّه

أعلن الربّ يسوع في حديثه مع نيقوديمس ملكوت اللّه وعناصر ارتباطه بالمسيح والكنيسة. نجد شرح هذا الموضوع بالتفصيل، مع إزالة كلّ التباس بشأنه، في الوثيقة الصادرة عن مجمع عقيدة الايمان بعنوان: "**إعلان الربّ يسوع**، حول وحدة وشموليّة الخلاص بيسوع المسيح والكنيسة" (٦ آب ٢٠٠٠).

ملكوت اللّه هو اعتلان تصميم اللّه الخلاصيّ وتحقيقه بكامله (عدد ١٩)، وهو ذو بعد إسكاتولوجيّ يعني أنّ تصميم الخلاص، الذي أصبح حاضرًا في الزمن، لا يتحقّق بشكله النهائيّ والكامل إلاّ في نهاية التاريخ واكتماله (عدد ١٨).

لقد ظهر ملكوت اللّه وتحقّق بشخص يسوع المسيح، كما كشف هو لنيقوديمس بقوله: "**لا أحد يقدر أن يرى ملكوت اللّه ما لم يولد من جديد**" **(يو ٣/٣)**. ونيقوديمس رآه عندما أعلن إيمانه بيسوع: إنّه المعلّم المرسل من اللّه الذي يأتي آيات لا يصنعها إلاّ من كان اللّه معه (أنظر يو ٣/٢).

الكنيسة هي العلامة والأداة لملكوت الله: تعلنه كعلامة، وتحقّقه كأداة (إعلان عدد ١٨). ولهذا تسمّى "زرع الملكوت وبدايته على الأرض" (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٥). إنّ لفظة "ملكوت" تعني الأشخاص البشريين والمجتمع والعالم بكامله. و"العمل في سبيل الملكوت" يعني الإقرار بالديناميّة الإلهيّة الحاضرة في التاريخ البشريّ، وتعزيزها وتفعيلها بحيث تحوّل هذا التاريخ. **الكنيسة تعلن وتعمل**، وبهذا هي أداة. أمّا "**بناء الملكوت**" فيعني العمل على تحرير التاريخ البشريّ من الشرّ بكلّ أشكاله، وبذلك **يظهر ملكوت الله** للعيان **وتكون الكنيسة علامة له** (إعلان، عدد ١٩).

وبما أنّ "تصميم الله الخلاصيّ" الظاهر في تاريخ البشر والمتحقّق في المسيح، يهدف إلى "اتّحاد الجنس البشريّ بالله اتّحادًا عميقًا، وإلى وحدته بكليّته"، **فالكنيسة هي العلامة والأداة لهذا الاتحاد ولهذه الوحدة"** (إعلان، عدد ١٨؛ الدستور العقائديّ في الكنيسة، ١)؛ وهي "الشعب الذي يستمدّ وحدته من وحدة الآب والابن والروح القدس"؛ وهي "مملكة المسيح الحاضرة سريًّا في العالم، وتشكّل زرع هذه المملكة ومبدأها" (الدستور العقائديّ في الكنيسة ٣ و٤).

وعندما تكلّم يسوع عن سرّ المعموديّة بقوله: "لا أحد يقدر أن يدخل ملكوت الله **ما لم يولد من الماء والروح**" (يو ٣/٥)، إنّما تكلّم عن السّر الذي تمنحه **الكنيسة– الأداة**، في واقعها المنظور والاجتماعيّ. لكنّ عمل المسيح والروح القدس لا ينحصران ضمن حدود الكنيسة المنظورة (رسالة الفادي، ١٨). ولهذا "يهبّ الروح، كالريح، حيث يشاء" (يو ٣/٨). **بالمعموديّة ندخل في شركة** اتّحاد مع الله الثالوث بواسطة **الكنيسة– الأداة**، وندخل في شركة ووحدة مع جماعة المعمّدين وسط **الكنيسة– العلامة**.

٣. سرّ المعموديّة ورموزها

المعموديّة هي سرّ الولادة الثانية لحياة جديدة من الماء والروح كأبناء للّه. بها نتحرّر من الخطيئة الأصليّة والخطايا الشخصيّة، ونمتلىء من الحياة الإلهيّة، ونصبح أعضاء في جسد المسيح وهياكل الروح القدس، ونندمج في الكنيسة، ونغدو شركاء في كهنوت المسيح ورسالة الكنيسة؛ وبذلك تكون المعموديّة الباب الذي يُدخلنا إلى باقي الأسرار (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٢٧٩؛ عرض مختصر للايمان الكاثوليكيّ، ١١٠).

يحقّق الروح القدس آيات هذا السّر ومفاعيله بقوّة حلوله، ويجعل ثمار موت المسيح وقيامته حاضرة في المعمّد، **فيموت** مع المسيح عن إنسان الخطيئة القديم، **ويقوم معه** إنسانًا جديدًا بالنعمة (مختصر الايمان الكاثوليكيّ، ١١١).

أمّا رموز المعموديّة فهي أوّلاً **الماء**: وهو رمز الموت والقيامة والولادة الجديدة على شبه يسوع المسيح. فبالمعموديّة **نولد** من أحشاء الماء كما ولد يسوع من أحشاء مريم، وبها **نبدأ رسالتنا** كمسيحيّين مثلما بدأها هو معتمدًا في ماء الأردن، **ونقتدي** بديناميّة موته وقيامته في حياة جديدة نسلكها.

الماء هو **رمز الحياة**. إنّه جوهريّ للحياة على الأرض، فلا يمكن أن نتصوّر حياة من دون ماء. الكائن البشريّ مؤلّف في معظمه من الماء الذي ينقل الغذاء من الخلايا وإليها. الجنين محاط بالماء في بطن أمّه، فيوفرّ له البيئة الملائمة لنموّه وتطوّره. على صعيد أوسع، الماء يغطّي ثلثي مساحة الأرض، وينظّم حرارتها، فيجعل مناخها مناسبًا لإمكانيّة حياة كائناتها البشريّة والحيوانيّة والنباتيّة. اعتادت الكنيسة على تبريك الماء في عيد

الغطاس تذكارًا لمعموديّة المسيح ومعموديّتنا، والتزامًا منّا بعيش مواعيدها ومفاعيلها؛ وفي عيد ارتفاع الصليب تذكارًا لموت المسيح وقيامته ولمشاركتنا في سرّه الفصحيّ، والتزامًا منّا بالعيش حسب مقتضيات الروح والحياة الجديدة. كلّ ذلك بقدرة الماء المبارك، بحلول الروح عليه.

هناك **رموز أخرى** هي: **زيت العماد** الذي يمسح به الكاهن جبين المعمّد علامة للصراع ضدّ الأرواح الشرّيرة؛ **والثوب الأبيض** الذي يلبسه المعمّد علامة لحالة النعمة؛ **والشمع** علامة الاشعاع المسيحيّ؛ **والزيّاح** إعلان للكنيسة، جماعة المؤمنين، عن انتماء عضو جديد إليها؛ **والبركة بأيقونة العذراء** علامة البنوّة الروحيّة بالنعمة لمريم أمّ المسيح وأمّنا؛ وأخيرًا **اسم المعموديّة** هو اسم القدّيس الذي يتّخذه المعمّد شفيعًا وقدوة.

المعموديّة هي السّرّ الأوّل من أسرار التنشئة المسيحيّة الثلاثة، إلى جانب سرّي الميرون (التثبيت) والقربان (المناولة). سرّ الميرون "يثبّت المعمّد في ملء نعمة العماد، ويشدّده برباط أوثق في الكنيسة، ويملأه من مواهب الروح القدس السبع: الحكمة والعلم والمعرفة (للعقل والايمان)، والمشورة والقوّة (للارادة والرجاء)، والتقوى ومخافة الله (للقلب والمحبّة). يتألّف الميرون من زيت معطّر يباركه البطريرك يوم خميس الأسرار، ويرمز إلى مسحة الروح القدس التي تحقّق فينا حلوله كما حلَّ يوم العنصرة على الرسل ومريم، الكنيسة الناشئة، ويجعلنا شهودًا ناشطين للمسيح (مختصر الايمان الكاثوليكيّ، ١١٨-١١٩). مناولة القربان، جسد المسيح ودمه، هي الغذاء الذي ينمّي الحياة الإلهيّة فينا، فالغذاء هو المسيح ذاته الذي هو كلّ الخير الروحيّ. تمحو المناولة خطايانا العرضيّة، وتعطينا المناعة للانتصار على التجارب، وتوحّدنا مع جماعة المؤمنين، جسد المسيح السرّيّ، وتمنحنا عربون المجد الأبديّ (المرجع نفسه، ١٢٨).

٤. الأسرار السبعة تكمّل مراحل الحياة الطبيعية

حياة الانسان الطبيعيّة تولد من الزواج، وحياته الفائقة الطبيعة من **سرّ المعموديّة**؛ الانسان ينمو ويتقوّى بالمناعة، وحياته الجديدة تنمو بمسحة الروح القدس؛ الحياة الطبيعية تتغذّى بالطعام، **والحياة الجديدة بسرّ القربان**، جسد المسيح ودمه؛ الانسان يمرض ويتعافى بالتطبيب، **وبسرّ التوبة** تشفى النفس من خطيئتها؛ الانسان يتحرّر من آثار المرض بالنقاهة، **وبسرّ مسحة المرضى** يتعافى نفسًا وجسدًا من آثار الخطيئة؛ الانسان ينتظم في حياة اجتماعيّة للخير العام، **وبسرّ الكهنوت** يحظى برعاية تقوده إلى الخلاص الأبديّ؛ الحياة البشريّة تتواصل في الوجود جيلاً بعد جيل بالتوالد، **وبسرّ الزواج** تستمرّ الكنيسة وتنمو وإيمانها يُتَناقل ليشمل جميع الناس في ملكوت الله (القدّيس توما الأكوينيّ).

■ ثانيًا: الخطّة الراعويّة

في النصّ ٩ عن العلمانيين، **استعاد المجمع البطريركيّ المارونيّ** تعليم الكنيسة حول مفاعيل المعموديّة في المؤمنين، وقد أصبحوا بالمعموديّة ومسحة الميرون جسدًا واحدًا مع المسيح. منهم تألّف شعب الله، وأصبح كلّ معمّد، بحسب مواهبه وإمكاناته ومكانته، شريكًا في وظائف المسيح النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة، من خلال الكهنوت العام. هذا الكهنوت عبّر عنه القدّيس أغسطينوس بالقول: "كما أنّنا ندعى جميعًا مسيحيّين بسبب المسحة السرّيّة، كذلك ندعى جميعًا كهنة، لأنّنا جميعًا أعضاء في جسد الكاهن الأوحد، ولأنّ الرأس والجسد يؤلّفان المسيح الكلّيّ" (مدينة الله، ٢٠/١٠). هذا الكهنوت العام أعلنه صريحًا بطرس الرسول: "أنتم جيل مختار، كهنوت ملوكيّ، أمّة مقدّسة، شعب مقتنى، لتخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (١ بطرس ٢/ ٤ و٥ و٩).

يذكّر المجمع أنّ المعمّدين مدعوّون، من خلال كهنوتهم العام، إلى القداسة، وإلى العمل كالخمير من الداخل على تقديس العالم، من خلال أعمالهم اليوميّة ومهامّهم وحياتهم الزوجيّة والعائليّة ونشاطاتهم الزمنيّة على مختلف المستويات، جاعلينها قرابين روحيّة مرضيّة للّه بيسوع المسيح، تنضمّ إلى قربان جسد الربّ ودمه في الأفخارستيّا لترفع بكلّ تقوى إلى الآب (النصّ ٩، عدد ٨ و٩). أمّا تعليم الكنيسة الذي استعاده المجمع البطريركيّ المارونيّ، فنجده في وثائق المجمع الفاتيكانيّ الثاني، وبخاصّة الدستور العقائديّ في الكنيسة "نور الأمم" (الفصل الرابع)، وفي الارشاد الرسوليّ: "العلمانيّون المؤمنون بالمسيح" (الفصل الأوّل)، والإرشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان" (الأعداد ٤٥- ٥١).

١. **يوصي المجمع البطريركيّ المارونيّ** بالعمل على إشراك **المؤمنين العلمانيين في الهيكليّات الكنسيّة**، على مستوى الرعايا والأبرشيّة، وهي العاملة في خدمة الكلمة والتعليم، والنعمة والتقديس، والمحبّة والشركة المتضامنة. نذكر من بين هذه الهيكليّات المجالس الراعويّة، وهيئات الشؤون الاقتصاديّة، ولجان إدارة الوقف، والمنظّمات الرسوليّة على اختلاف أنواعها، وجوقة الكنيسة، وفريق السهرات الانجيليّة، ولجنة تحضير المناولة الأولى، ولجان راعويّة العائلة، ولجان الشبيبة، ولجان التعليم المسيحيّ، ولجان إدارة صندوق الخدمات الاجتماعيّة والانمائيّة، ولجان كاريتاس لبنان، وسواها من المنظّمات الخيريّة لخدمة المرضى والفقراء والمسنّين والمعاقين، والانخراط في العمل الليتورجيّ (النصّ ٩، عدد ٣٢/٣).

الخطّة الراعويّة تقتضي التفكير معًا حول أمرين: تعزيز المشاركة في الهيكليّات الكنسيّة والرسالة، ووسائل تنشئة العلمانيين على دورهم وحسن مشاركتهم.

٢. ويوصي المجمع بتنشيط الحركات والمنظّمات الرسوليّة والجماعات العيليّة في الرعايا، بإنشائها وإرشادها وتنشئتها وفقًا لمقاييس الانتماء إليها: السعي إلى تقديس الذات وقبول حقائق الايمان والمجاهرة بها في المسلك والموقف، وتمتين أواصر الوحدة والشركة في الرعيّة والأبرشيّة، وتثقيف الذات دينيًّا والمشاركة في إعلان الانجيل، وأخيرًا العمل على خدمة المحبّة في الرعيّة وإحلال العدالة وشدّ روابط الأخوّة (العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ٣٠) (النصّ ٩، عدد ٣/٣٢). إنّها خلايا فاعلة في حياة الرعيّة ورسالتها. ويوصي بالتنسيق بين المنظّمات الرسوليّة وسواها من القوى الحيّة في الرعيّة، بإنشاء المجلس الرعويّ وما يتفرّع عنه من لجان، وتفعيل دوره وفقًا لنظامه الذي أقرّه الشرع الخاصّ بالكنيسة المارونيّة (النصّ ٩، عدد ٦/٣٢).

صلاة

يا يسوع الراعي الصالح، بارك كلّ العاملين في خدمة الكلمة لكي يصلوا بجميع الناس إلى اكتشاف المعنى الأصيل للحياة المسيحيّة، ولكي، إذا أصغوا إلى صوتك، يتبعوك بفرح وسخاء.

بارك رعايانا وحوّلها إلى جماعات حيّة تنعشها الصلاة والحياة الليتورجيّة، ويجدّدها السماع الواعي لكلمتك، وتحييها المحبّة السخيّة لك وللإخوة.

يا مريم، سلطانة الرسل، سَلي الربّ يسوع أن يُفيضَ روحه القدّوس على المؤمنين العلمانيين، رجالاً ونساءً، ليضطلعوا تمامًا بدعوتهم ورسالتهم، ويسهموا في بناء حضارة الحقيقة والمحبّة على الأرض، حسب رغبة الربّ ولمجده. آمين. (صلاة البابا يوحنّا بولس الثاني).

الأحد الرابع بعد الدّنح

إنجيل القدّيس يوحنّا ٤/٥-٢٥

الحوار وملاقاة الحقيقة

أجرى يسوع هذا الحوار مع المرأة السامريّة على مقربة من بئر ماء معروف ببئر يعقوب في مدينة سوكار على سفح جبل جرزيم حيث كان للسامريين هيكل يكتبون على حجارته كلمات الشريعة كتابة واضحة، ومذبح يقدّمون عليه ذبائح ومحرقات للربّ، ويأكلونها هناك ويفرحون أمام الربّ إلههم، وقد سمّاه موسى "جبل البركة" (تثنية الاشتراع ٢٧/٤-١٢). تحدّث معها عن **أعمق أسرار الله**: عن **ماء الحياة الأبديّة**، وعن **الله الذي هو روح** ويملأ الناس من حياته الإلهيّة، وعن **العبادة الحقيقيّة** المتوجّبة للآب بالروح والحقّ. وأعلن لها أخيرًا أنّه هو **المسيح** المنتظر (يو ٤/٢٥-٢٦). وكانت نتيجة هذا الحوار أنّ السامريّة، بالرّغم من أنّها "خاطئة"، أصبحت "تلميذة" للمسيح ورسولة. فمن بعد أن عرفته، بشّرت به أهل السامريّة، فاستقبلوه بإيمان (يو ٤/٣٩-٤٢).

■ أوّلاً: الحوار الرائع في نصّ الانجيل

١. إطار الحوار وأبعاده

يصل يسوع إلى بئر يعقوب وقد أعياه التعب الحسّيّ من الطريق (يو ٤/٦)، والتّعب النفسيّ من الفريّسيين الذين كانوا يترصّدونه، فترك منطقتهم

اليهوديّة قاصدًا الجليل (يو ٤/١-٣). وكان لا بدّ من أن يمرّ بالسامرة، فتوقّف في سوكار حيث بئر يعقوب.

علّق القدّيس أغسطينوس على تعب يسوع وضعفه، قال: "خلقنا المسيح بقوّته، وأتى يبحث عنّا ليخلقنا من جديد بضعفه" (شرح إنجيل يوحنّا، العظة ١٥، المقدّمة). وأضاف: "في الأسرار العظيمة التي عرضها للمرأة، تجد كلّ نفس جائعة ما تغتذي به، وكلّ نفس تعبة ما يجدّد قواها" (المرجع نفسه، عدد ١).

لم تكن بئر يعقوب مجرّد بئر لتجميع المياه، بل كان فيها ينبوع جارٍ. على حافّتها جلس يسوع، والتعبُ أعياه، منتظرًا من يأتي ليحييه هو من تعبه، "فالذي أوجده من العدم بقوّته، يحميه من الهلاك بضعفه" (القدّيس أغسطينوس، المرجع نفسه، عدد ٦). وصلت المرأة السامريّة لتستقي ماء. وكان اليهود يعتبرون السامريّين غرباء. جاء يسوع يكسر، بواسطة المرأة، هذه المسافة وهذا "البعد"، فآمنت هي به، وآمن كثيرون (يو ٤/٤١). إنّها معهم صورة الكنيسة الناشئة من الأمم، من "البعيدين والغرباء". **إنّ الحوار هو قوّة الكنيسة التي تجتذب الشعوب.**

جلس يسوع على حافّة البئر عطشانًا، ليروي عطش الآتين إليه من الايمان به، فكانت المرأة تلك العطشى بامتياز إلى "روح القدس" الذي سيرويها.

٢. وقائع الحوار وتدرّجه

بادر يسوع المرأة، طالبًا أن تعطيه ماء ليشرب. المبادرة الأولى هي دائمًا من اللّه، الذي يضع نفسه على طريقنا. واجهته بالرفض: "كيف تطلب منّي أنا السامريّة ماء لتشرب، وأنت يهوديّ". أمّا هو، ولو بكلمات غير مفهومة

منها، وبشكل محتجب، أرشدها، إلى **عطيّة الله** التي هي الماء الحيّ، رمز الروح القدس، وإلى **شخصيّة الطالب منها** الذي هو المسيح (يو ٤/١٠-١١)، كما سيكشف لها (يو ٤/٢٦). لقد فهمته ماديًّا، إذ كيف يستطيع أن يعدها بما كان يطلبه منها: "فالبئر عميقة، وليس لها دلوٌ".

عاد من جديد يحدّثها عن الماء الروحيّ: "من يشرب من ماء بئر يعقوب يعطش، ومن يشرب من الماء الذي أعطيه أنا لن يعطش إلى الأبد، بل يصير عنده معين ماء يجري للحياة الأبديّة" (يو ٤/١٤). ولكنّها لم تفهم إلاّ ماديًّا، فقالت له بشيء من السخرية: "أعطني من هذا الماء، حتّى لا أعطش بعد، وأجيء إلى هنا وأدلي بدلوي".

هنا دخل يسوع إلى عمق نفسها وسرّ خطيئتها ليرويها بماء الروح القدس، فأمرها: "اذهبي وادعي زوجك وعودي إلى هنا" (يو ٤/١٦). فأعطت جوابًا، نصفه كذب ونصفه الآخر حقيقة: "ليس لي زوج". فكشف لها الحقيقة كلّها: "كان لك خمسة أزواج، والزوج الذي هو لك الآن، ليس زوجك؛ بهذا صدقت".

ما أكبر عطش هذه المرأة إلى ماء الروح القدس، الماء الحيّ! ما أحوجها إلى الحقيقة التي تخرجها من أسر كذبها، وتحرّرها من قيود خطيئتها! بالسؤال والجواب، أوقفها يسوع أمام حقيقة نفسها الداخليّة، وحسّسها بالعطش الحقيقيّ الذي لا يمكن لبئر يعقوب أن ترويه. لا شيء يوقف الانسان عن الازدواجيّة سوى حقيقة نفسه المكشوفة أمامه، فيما كان يخبّئها بأكاذيب واهية. ولا شيء يحمل الانسان إلى الجديّة وقرار التغيير سوى وقوفه بوضوح لا يقبل الشكّ أمام واقعه المنحرف. فالمتّهم بجرم لا يعترف به إلاّ عندما يضعه القاضي أمام الحقيقة الواضحة، فيقرّ بها ويمثّل الجريمة.

شاوول- بولس، مضطهد الكنيسة، قرّر التغيير عندما أسقطه الربّ عن جواده، وهو في طريقه إلى دمشق للإمعان في الاضطهاد، وأعمى عينيه في وضح النهار، وكاشفه بأنّه يضطهد يسوع الناصريّ نفسه. أمام الواقع والحقيقة قال: "ماذا تريد أن أفعل؟" (أعمال ٩/٣-٦). هو سلطان يسوع، سلطان الحقّ على الضمير البشريّ، يوقظه ويحرّكه.

الآن تقف المرأة السامريّة أمام الحقيقة وتعلنها بالقول: "يا سيّدي، أنا أرى أنّك نبيّ" (يو ٤/١٩). وهكذا ارتفعت إلى مستوى الروح، فسألته عن قضيّة العبادة للّه: أهي على جبل السامرة كما يعتقد السامريّون، أم في أورشليم حسب زعم اليهود؟ فأجابها يسوع: "آمني، يا امرأة، بما أقول لك: أتت الساعة لأن تسجدوا للّه لا في هذا الجبل ولا في أورشليم، بل بالروح والحقّ تسجدون". فارتفعت بفهمها أكثر فأكثر، حتّى بلغت إلى مستوى حقيقة المسيح، وقالت: "المسيح عندما يأتي يعلّمنا كلّ شيء". لقد وصلت، من حيث لا تدري، إلى "**الماء الحيّ**" الذي يعطيه المسيح، راجية التماسه عندما يأتي. أمّا يسوع، فمن بعد أن كشف لها حقيقتها الشخصيّة، كشف لها عن حقيقة ذاته قائلاً: "أنا هو المسيح، أنا الذي يتكلّم معك" (يو ٤/٢١).

ارتوت المرأة من "**الماء الحيّ**" الذي حدّثها عنه في البداية، فاستغنت عن ماء البئر. تركت جرّتها وأسرعت إلى المدينة تخبرهم أنّها وجدت المسيح (أنظر يوحنّا ٤/٢٧-٣٠)، وكأنّها تدعوهم للارتواء من معينه بلسان أشعيا: "أيّها العطاش جميعًا، هلمّوا استقوا المياه من ينابيع الخلاص مبتهجين، فإنّ القدّوس في وسطكم" (أشعيا ١٢/٣و٦؛ ٥٥/١).

"**الماء الحيّ**" الذي أروى السامريّة أصبح فيها، على ما تنبّأ يسوع، "معين ماء يجري للحياة الأبديّة" (يو ٤/١٤)، أي ملأها من الروح القدس،

الذي سوف يقبله المؤمنون به (يو ٧/٣٨-٣٩). فصارت رسولة المسيح الشاهدة له. ولكلام شهادتها، خرج الناس من المدينة، وأتوا إلى يسوع. وآمن به كثير من السامريين (يو ٤/٣٠ و٣٩).

الدعوة إيّاها سيوجّهها يسوع نفسه: "**من هو عطشان، فليأتِ إليَّ ويشرب. من يؤمن بيْ، كما قالت الكتب، تجري من جوفه أنهار ماء الحياة**" (يو ٧/٣٧-٣٨). وسيردّدها بلسان يوحنّا الرسول من على عرشه في السماء: "ها أنا جاعل كلّ شيء جديدًا... أنا الألف والياء، الآوّل والآخِر. أنا أعطي العطشان من معين ماء الحياة مجّانًا" (رؤيا ٢١/٥-٧).

٣. يسوع نموذج كلّ حوار

يسوع المسيح، الكلمة الإلهيّ، هو "نور الحقّ الذي ينير كلّ إنسان آتٍ إلى العالم" (يو ١/٩). وهو كلمة حوار اللّه مع الانسان: "فمن بعد أن كلّم اللّه آباءنا منذ القديم بأنواع شتّى، كلّمنا في هذه الأيّام الأخيرة، بابنه الذي هو ضياء مجده، وصورة جوهره، وضابط الكلّ بقوّة كلمته" (عبرانيين ١/١-٣).

في شخصه تمّ حوار الألوهة والانسانيّة، وبأقنومه الإلهيّ جمع بين كمال الطبيعتين، على ما علّم مجمع خلقيدونيه (٤٥١)، فكان إلهًا كامل الألوهة وإنسانًا كامل الانسانيّة. وبات يسوع الصورة لكلّ إنسان مدعوٌّ منذ مولده ليدخل في حوار عميق مع اللّه وجميع الناس (الكنيسة في عالم اليوم، ١٩)، وصورة الكنيسة المؤتمنة على الحوار مع العالم بحكم رسالتها، وهي أن يستنير جميع الشعوب بنداء الانجيل، وأن يجتمع بروح واحد جميع الناس من كلّ أمّة وجنس وحضارة (المرجع نفسه، ٩٢).

حوار يسوع مع السامريّة يبرز قيمة كلّ حوار، ويحدّد مساره: من يريده حقًّا يباشر بالخطوة الأولى، كما بادر يسوع بالطلب من المرأة ليشرب.

ويقابل الرفض بطرح الموضوع الذي هو غاية الحوار البعيدة؛ في الحوار مع السامريّة كان الموضوع الماء الحيّ. ربّما يلقى الاستهتار أو الازدراء من قبل المحاور الآخر أو التقليل من قيمة ما يطرح، كما فعلت السامريّة. لا بدّ من الصبر والتواضع لتذهب إلى أعمق، من خلال الولوج إلى شخصيّة الآخر، فتطرح عليه أمرًا يعنيه في الصميم: "إذهبي وادعي زوجك". هي المرحلة التي تصل بالآخر إلى قول الحقيقة المجرّدة، والسير نحو الغاية المنشودة من خلال حوار وجدانيّ، مثل المرأة التي من بعد أن رأت في شخص يسوع نبيًّا ومسيحًا، ارتوت من "ماء الحياة" فآمنت، وتفجّر في داخلها ينبوع ماء حملها على الشهادة للمسيح وجلب الكثيرين من البعيدين إليه، فارتووا بدورهم، وشهدوا: "نحن آمنّا وعرفنا أنّ هذا هو المسيح حقًّا، مخلّص العالم" (يو ٤/٤٢).

هذا الحوار، وهو من أجمل الحوارات في الانجيل، بلغ إلى إعلان كرامة المرأة ودعوتها، فيما التلاميذ "تعجّبوا إذ رأوه يحادث امرأة" (يو ٤/٢٧)، لأنّ هذا التصرّف كان يتنافى مع العوائد المرعيّة لدى معاصريه. لاقاها يسوع على بئر سوكار، وعلى علمه بأنّها خاطئة، فاتحها في أمر خطيئتها مع الرجال الخمسة، وتحدّث معها عن أعمق أسرار اللّه وعن عطيّة الحبّ الإلهيّ غير المتناهية، التي شبّهها "بينبوع ماء يجري للحياة الأبديّة" (يو ٤/١٤)، وعن اللّه، الذي هو روح، وعن العبادة الحقيقيّة المتوجّبة للآب بالروح والحقّ (يو ٤/٢٤). وأعلن لها أخيرًا أنّه هو المسيح الذي وعد اللّه به شعبه (يو ٤/٢٦).

لا أحد منّا يدرك مسبقًا نتائج الحوار الصادق مع الآخر. فالمرأة السامريّة، بالرّغم من أنّها خاطئة، أصبحت "تلميذة" المسيح. بل إنّها، بعد أن عرفته، بشّرت به أهل السامرة، بحيث أنّهم، هم أيضًا استقبلوه بإيمان (يو ٤/٣٩-٤٢).

كلّ هذا الذي جرى بين يسوع والمرأة السامريّة يبيّن عطيّة اللّه التي بدأ يسوع بإعلانها في بداية حواره: "**لو كنت تعرفين عطيّة اللّه**" (يو ١٤/١٠). هذه "العطيّة" هي تقدير الربّ لكرامتها، وكرامة كلّ امرأة، وللدعوة التي تؤهّلها للمشاركة في رسالة المسيح (البابا يوحنّا بولس الثاني، كرامة المرأة، ٣١). و"العطية" هي سرّ فداء الانسان الذي شمل، في هذه اللوحة الانجيليّة، كرامة المرأة ودعوتها، وقد نصّب المسيح نفسه أمام معاصريه مدافعًا عنها (المرجع نفسه، ١٢).

■ ثانيًا: الخطّة الراعويّة

يبيّن الحوار بين يسوع والمرأة السامريّة كم نحن بحاجة إلى أن نتحاور: الزوج مع زوجته، الوالدون مع أولادهم، الجيران مع سكّان الحيّ الواحد، السلطة مع شعبها، الثقافات والأديان بعضها مع بعض، أفراد الجماعة الواحدة في المنظّمة والمؤسّسة والدير والرعيّة، والأجيال الكبيرة مع الصغيرة.

١) في هذا الأسبوع، **نحن مدعوّون لتعزيز الحوار الحقيقيّ** المرتكز على احترام متبادل لكرامة الأشخاص وحريّة الضمير والعمل معًا على حفظ الإنصاف والعدالة وقيم الحريّة والسلام، وعلى السعي إلى توبة القلب وإحلال المحبّة والأخوّة، وعلى التفاني في سبيل كلّ عمل صالح (رجاء جديد للبنان، ٨٩).

٢) **يوصي المجمع البطريركيّ المارونيّ:**

أ- **الأزواج وأفراد العائلة** بالحوار المحبّ، القائم على الاحترام والتكامل، الذي هو الطريق الملوكيّ لسعادتهم الزوجيّة والعائليّة. فالزواج والأسرة يرتكزان على عهد الحبّ والحياة، قطعه الأزواج

بعضهم مع البعض ومع اللّه ومع الأجيال المتحدّرة منهم. يحدّد النصّ المجمعيّ العاشر، بعنوان "العائلة المسيحيّة"، عناصر هذا العهد: إنّه مبنيّ على الرضى المتبادل بين الزوجين والانفتاح لقبول هبة الحياة من اللّه في الأولاد، وعلى كلمة اللّه والانجيل وبركة الثالوث القدوس، وعلى الأمانة والحياة المشتركة (الفقرات ٤٥-٥٨).

ب- **أبناء الكنيسة في لبنان**، بحكم تجربتهم التاريخيّة والصيغة اللبنانيّة المرتكزة على التنوّع في الوحدة، يوصيهم المجمع، في النصّ ١٥: "تحديد عالم اليوم بالنسبة إلى الكنيسة المارونيّة"، بالتأقلم مع البيئة التي يعيشون فيها، معزّزين حوار الحضارات. فالكنيسة هي كنيسة الحوار والعيش معًا بين مختلف الأديان والكنائس. وإنّنا نحن اللبنانيّين خاصّةً، مسيحيّين ومسلمين، ننتمي إلى تراث واحد ومصير واحد ولغة واحدة وتاريخ واحد. ومهما كانت الفوارق، وهذا أمر طبيعيّ، ومهما كانت الاختبارات متنوّعة بين حلو ومرّ، يبقى أنّ ما يجمع هو أكثر ممّا يفرق. إنّ الحوار يهدف إلى تثبيت الحريّة والعدالة والديموقراطيّة واحترام الآخر، وإلى العيش المشترك في لبنان، والمصير المشترك في العالم العربيّ، وحوار الحضارات في الانتشار (الفقرات ٢٤-٣٠).

٣) تتشاور الجماعات: أبناء وبنات الرعيّة، أفراد العائلة، الجماعة الديريّة، المنظّمة الرسوليّة، أعضاء اللجان، في ضوء النصّ الانجيليّ، كيف يجسّدون في حياتهم وعلاقاتهم طبيعة الكنيسة التي إليها ينتمون، وهي "أنّ الانسان هو طريقها، كما كان طريق المسيح" (البابا يوحنّا بولس الثاني في رسالته فادي الانسان)، وإنّها "خبيرة في الانسانيّة" (البابا بولس السادس) و"خبيرة في الحوار" (النصّ المجمعيّ ١٥، فقرة ٢٣ و٢٥). لا بدّ من ابتكار مبادرات حوار تعزّز التلاقي وكرامة الانسان.

صلاة

يا يسوع المسيح، الكلمة التي تجسّدت لتحاور كلّ إنسان، لقد أظهرت لنا سرّ اللّه وسرّ الانسان، ومعنى التاريخ. أهّلنا، بمحبّة الآب لنا وبأنوار روحك القدّوس، لأن نواصل الحوار بين السماء والأرض، وفيما بينَنا، فيعمَّ السلام العادل، ويسعدَ الناس بدفء المحبّة، وينعمَ الجميع بفرح التلاقي، ويتأنسنَ المجتمع، وتنكشف كرامة الأشخاص والأوطان. لك المجد إلى الأبد. آمين.

تذكار الكهنة

إنجيل القدّيس لوقا١٢/٤٢-٤٨

هويّة الكاهن ورسالته

تبدأ مع هذا الأحد سلسلة من ثلاثة أسابيع مخصّصة تباعًا للتذكارات: الكهنة، والأبرار والصدّيقين، والموتى المؤمنين. ثمّ يبدأ زمن الصوم. تذكار الكهنة اليوم يشمل التأمّل في سرّ الكهنوت وشخصيّة الكاهن ورسالته، والتماس الراحة الأبديّة للكهنة المتوفّين، والصلاة من أجل تقديس الكهنة الأحياء المنصرفين إلى خدمتهم وثبات الدعوات الكهنوتيّة، والطلب إلى اللّه أن"يرسل فعلة لحصاده الكثير" (متّى ٩/٣٨).

■ أوّلاً: الكهنوت خدمة رسوليّة للخلاص

١. سرّ الكهنوت

الكهنوت هو "سرّ الدرجة المقدّسة"، وأحد الأسرار السبعة في الكنيسة، بالاضافة إلى المعموديّة والتثبيت والأفخارستيّا والتوبة ومسحة المرضى والزواج. الأسرار هي علامات تدلّ على النعمة الإلهيّة وتحقّقها في قابليها، وقد أسّسها السيّد المسيح وسلّمها إلى الكنيسة لكي توزّع بواسطتها على المؤمنين الحياة الإلهيّة. ولكلّ سرّ من الأسرار نعمته الخاصّة يمنحنا إيّاها

الروح القدس ليشفينا من خطيئتنا ويقدّسنا، وليشركنا في عمله ويؤهّلنا لنعاون في خلاص الآخرين ونموّ جسد المسيح السرّيّ الذي هو الكنيسة (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة ١١٣١ و٢٠٠٣). يشمل "سرّ الدرجة المقدّسة" ثلاث رتب: **الأسقفيّة، والكهنوت، والشمّاسيّة.**

أسّس الربّ يسوع سرّ الكهنوت في عشائه الأخير مع سرّ الأفخارستيّا. وسلّم كهنة العهد الجديد متابعة رسالة الخلاص باسمه وبشخصه، قائلاً لهم: "اذهبوا وتلمذوا كلّ الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم كلّ ما أوصيتكم به. وها أنا معكم طوال الأيّام إلى انقضاء العالم" (متّى ٢٨/١٩-٢٠). الكهنوت هو سرّ **الخدمة الرسوليّة**، الذي يجعل قابلي الكهنوت مكرّسين ليكونوا رعاة الكنيسة باسم المسيح، لخدمة الكلمة والنعمة والمحبّة، **ويهدف** إلى خلاص المؤمنين، ويساهم في خلاص خادم الكهنوت من خلال خدمته.

٢. الكاهن وكيل المسيح

"من تراه الوكيل الأمين الحكيم" (لو ١٢/٤٢).

. الكاهن **وكيل** أقامه سيّده، يسوع المسيح الكاهن الأزليّ، ليعطي طعام الكلمة والنعمة والمحبّة في حينه، بشكل دائم ودؤوب، إلى بني بيته أي جميع الناس الذين افتداهم واقتناهم بدمه، فأصبحوا خاصّته. بالتوكيل يعطيه سلطانًا ورسالة، توجيهًا وغاية، لكي **يعمل بشخص المسيح** الكاهن الوحيد، ووسيط الخلاص بين اللّه والناس. فمن خلال خدمة الكاهن، المسيح نفسه حاضر في الكنيسة، كرأسٍ لجسده، وراعٍ لقطيعه، وكاهنٍ لذبيحة الفداء، ومعلّم للحقيقة. وبالتوكيل، الذي يجري بالرسامة الكهنوتيّة، يصبح الكاهن بالنعمة الإلهيّة، في كيانه الداخليّ، كاهنًا على صورة المسيح

ومثاله، وينال من الروح القدس السلطان ليعمل بشخص المسيح نفسه الذي يمثّله، وبقدرته. ولهذا، عندما يقول "أنا"، أثناء منح الأسرار، هو المسيح نفسه الكاهن الوحيد الذي يتكلّم ويمنح نعمة السرّ. وبهذا المعنى نقول إنّ **الكاهن – الوكيل** يتكلّم **باسم** المسيح ويعمل **بشخصه**. هذه الحقيقة عبّر عنها الربّ يسوع بكلمات واضحة: "من يسمع منكم يسمع منّي. ومن يرفضكم يرفضني. ومن يرفضني يرفض الذي أرسلني" (لو ١٠/١٦). "كلّ ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء، وكلّ ما تحلّونه على الأرض يكون محلولاً في السماء" (متّى ١٨/١٨).

ولأنّ الكاهن **وكيل**، فلا يعطي نفسه السلطان والرسالة، التوجيه والغاية. بل أعطاه إيّاها المسيح نفسه موكّله. ولهذا **يطلب منه أن يكون أمينًا** لشخص المسيح ولرسالته التي أوكلت إليه بالسلطة المقدّسة الآتية من المسيح بواسطة الكنيسة **في الرسامة المقدّسة، وقد كرّسته** بنوع من الفرز والتولية لخير الكنيسة. **الفرز** يتمّ بوضع يد الأسقف، علامة لاختيار الشخص ووضعه على حدة، وجعله خاصّة المسيح والكنيسة. **والتولية** تتمّ بحلول الروح القدس الذي يمنح النعمة والسلطان. **بالنعمة**، يصبح الأسقف أو الكاهن أو الشمّاس على صورة السيّد المسيح في كيانه الداخليّ، ويتقدّس ويشفى من خطاياه وضعفه. **وبالسلطان** يعمل باسم المسيح وبشخصه، وبالتالي باسم الكنيسة جمعاء التي هي جسد المسيح. ليس الكاهن منتدبًا أو موكّلاً من الجماعة، ولا هي انتخبته أو عيّنته أو فوّضته، بل المسيح نفسه اختاره وانتدبه بواسطة الجماعة: "لستم أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتأتوا بالثمار وتدوم ثماركم" (يو ١٥/١٦). ولهذا يطلب من الكاهن أن يكون **حكيمًا**، يخاف الله ويسعى إلى مرضاته، لا أن يخاف الجماعة **سعيًا** إلى استرضائها لمكاسب خاصّة، فلا يحقّ له أن يساوم على ما هو موكّل عليه.

٣. الكاهن خادم المسيح

"طوبى لذلك الخادم الذي يأتي سيّده فيجده فاعلاً هكذا" (لو ١٢/٤٣).

الكاهن **خادم المسيح** لدى الجماعة، بحكم ارتباطه الأسراريّ وتعلّقه الكليّ بالمسيح الذي يعطي السلطة والرسالة. بهذا المعنى هو خادم المسيح لا الجماعة. خدمته تقتضي منه أن يبحث دومًا عن إرادة من أولاه الخدمة، كما كلّ خادم بالنسبة إلى سيّده، وأن يتمّم مشيئته بأمانة وإخلاص: "فالخادم الذي علم مشيئة سيّده وما عمل بها يضرب ضربًا كثيرًا" (لو ١٢/٤٧). إنّها **الطاعة الكهنوتيّة** للمسيح الذي يأمر، بإلهامات الروح القدس، ونداءات المجتمع، وبصوت السلطة في الكنيسة. أعطانا يسوع المثال باتّخاذه طوعًا لأجلنا "صورة عبد للآب الذي أطاع حتّى موت الصليب" (فيليبّي ٢/٧). وبولس الرسول سمّى نفسه "عبد المسيح يسوع الذي دُعي ليكون رسولاً وأفرز ليعلن بشارة الله" (روم ١/١).

الكاهن هو **خادم** المسيح **لدى الجماعة**، يقدّم لها طعام الكلمة والنعمة والمحبّة التي هو خادمها، والتي ليست منه وله، بل من المسيح الذي ائتمنه عليها لأجل الآخرين. وبذلك يكون الكاهن طوعًا "عبد الجميع"، على مثال بولس الرسول: "ومع أنّي حرّ من جهة الناس جميعًا، فقد جعلت من نفسي عبدًا لجميع الناس كي أربح الكثيرين" (١ كور ٩/١٩).

الكاهن الخادم يرضي المسيح سيّده، ويخلّص نفسه من خلال تأدية خدمته: "طوبى لذلك الخادم الذي إذا جاء سيّده وجده منصرفًا إلى عمله هذا. الحقّ أقول لكم إنّه يقيمه على جميع أمواله" (لو ١٢/٤٣-٤٤).

٤. ماذا يطلب الناس من الكاهن، وماذا يعطيهم؟

"أقامه سيّده على بني بيته ليعطيهم الطعام في حينه" (لو ١٢/٤٢).

يقيم الربّ يسوع على الناس "الذين اقتناهم بدمه" وكيلاً للخيرات السماويّة هو الكاهن. يسمّيه بولس الرسول "وكيل أسرار الله" (١ كور ٤/١)، يتسلّم من المسيح **الخيور الخلاصيّة**، وعليه أن يوزّعها طعامًا على الأشخاص الذين أرسله إليهم، ويوزّعها بأمانة، إذ "جلّ ما يُطلب من الوكيل أن يكون أمينًا" (١ كور ٤/٢). "أسرار اللّه" أو "الخيور الخلاصيّة" هي الخيرات اللأمرئيّة واللامحدودة التي تتعلّق بالنظام الروحيّ والفائق الطبيعة. "فكلّ ما هو ذو منفعة اقتصاديّة واجتماعيّة وسياسيّة لا يُطلب من الكاهن، بل من آخرين كثر. إنّ في الانسان المعاصر تطلّعًا واحدًا وكبيرًا إلى الكاهن هو أنّه عطشان إلى الله. إنّه يطلب المسيح من الكاهن" (البابا يوحنّا بولس الثاني: عطيّة وسرّ، ص ٩٢).

الطعام الذي عليه أن يقدّمه مثلّث: الكلمة والنعمة والمحبّة.

١) **طعام الكلمة**، بالكرازة والتعليم، بالوعظ والارشاد، بحيث يتأصّل المؤمنون في المسيح من خلال كلمة الله، وينموا في الايمان والرجاء والمحبّة، فيؤدّوا شهادة الحياة في المجتمع البشريّ، مسلكًا وموقفًا وحضارة حياة. على الكاهن أن يتعاون مع مكرّسين من رهبان وراهبات، ومع مؤمنين علمانيين مؤهّلين بمثل حياتهم وبثقافتهم الدينيّة. الغاية من خدمة الكلمة أن يولد الايمان في النفوس ويلتقي المؤمن يسوع المسيح. الكاهن هو أوّلاً وفي الأساس **رجل كلمة الله** والمبشّر السخيّ الذي لا يتعب، شرط أن يكون شاهدًا للكلمة قبل أن يكون مبشّرًا بها (المرجع نفسه ص ٩٧).

٢) **طعام النعمة**، يوزّعها من خلال أسرار الكنيسة، فتقدّس المؤمنين وتغذّي نفوسهم، وبخاصّة نعمة **الأفخارستيّا ونعمة المصالحة**. وبذلك

يكون الكاهن وكيلاً لأكبر خير وهو: غفران الخطايا في سرّ التوبة والمصالحة، والحياة الالهيّة في سرّ الأفخارستيّا. وكونه وكيلاً لهذه الخيرات، يبقى الكاهن دومًا، وبنوع خاصّ، **على اتّصال مع قداسة اللّه** التي يردّدها: "قدّوس قدّوس قدّوس الربّ إله الكون. السماء والأرض مملوءتان من مجدك، هوشعنا في الأعالي"؛ **ويحيا** كلّ يوم **مجيء هذه القداسة** من اللّه إلى الانسان. لذلك على الكاهن أن يصبح هو بالذات قدّيسًا ورجل صلاة: فالصلاة تولد من قداسة اللّه، وهي جواب على هذه القداسة. الصلاة تجعل الكاهن شاهدًا لقداسة اللّه قبل أن يكون معلّمًا لها. الاحتفال بالقدّاس هو أسمى وأقدس عمل يقوم به الكاهن. وخدمة منبر الاعتراف تجعله الشاهد والوسيلة للرحمة الإلهيّة، وتحقّق أبوّته الروحيّة أكمل تحقيق. في كرسيّ الاعتراف تقدّس خوري آرس والأب بيّو.

٣) **طعام المحبّة**، برعاية النفوس، رعاية "الراعي الصالح"، يسوع المسيح (يو ١٠/١-٦)، الذي على مثاله صوّرت النعمة الكاهن في جوهر كيانه. إنّها رعاية تسلّمها من الربّ، مثل سمعان بطرس: "أتحبّني، ارع خرافي" (يو ٢١/١٥-١٧). هذه الرعاية، النابعة من قداسة الكاهن ومحبّته، تدفعه إلى معرفة أبناء رعيّته من أجل خدمتهم في حاجاتهم المتنوّعة وهي: تنمية الايمان وتعزيز الحياة المسيحيّة لدى الجميع، مصالحة المتخاصمين، الاعتناء بالفقراء والمهمّشين، مؤاساة الحزانى، زيارة المرضى، مرافقة المنازعين، الاهتمام بالأطفال والشبيبة اهتمامًا خاصًّا. الكاهن هو صاحب "قلب من لحم" (حزقيال ١١/١٩)، في مجتمع أضحت فيه القلوب من حجر. بمقدار ما يحبّ اللّه بمقدار ذلك يحبّ جميع الناس، لانّ محبّة اللّه لكلّ إنسان تمرّ عبر قلب الكاهن.

مسؤوليّة الكاهن كبيرة، وقد نبّهه إليها السيّد المسيح في إنجيل اليوم

(لو ١٢/٤٥). ذلك أنّه "استودع كثيرًا فيطلب منه أكثر". ولهذا يحتاج إلى صلاة المؤمنين وتشجيعهم ودعمهم، من أجل خيرهم وخيره.

■ ثانيًا الخطّة الراعويّة

وَكَلَ الربّ يسوع "رعاية خراف اللّه" (يو ٢١/١٥-١٧) إلى الرسل وخلفائهم الأساقفة ومعاونيهم الكهنة. هؤلاء مدعوّون لأن يكونوا في وسط الجماعة امتدادًا لحضور المسيح، الراعي الأوحد والأعظم، نبيًّا يعلن كلمة الحياة، وكاهنًا يفتدي البشر بسرّ موته وقيامته، وملكًا يبني الجماعة الجديدة على أسس المحبّة والأخوّة والمصالحة. ينتظر منهم، أساقفة وكهنة، أن يتشبّهوا بنمط حياته، ويعكسوا صورته شفّافة وسط القطيع الموكول إليهم (أعطيكم رعاة، ١٥).

١) تشمل الخطّة الراعويّة في هذا الأسبوع ما يوصي به المجمع البطريركيّ المارونيّ في النصّ ٧ عن الكهنة:

أ- **تنظيم حلقات صلاة** في كنيسة الرعيّة من أجل الكهنة، أحياء ومتوفّين، ومن أجل الدعوات الكهنوتيّة في الأبرشيّات والرهبانيّات. تقترن حلقات الصلاة بأحاديث وتأمّلات عن سرّ الكهنوت في جوهره اللاهوتيّ ورسالته في الكنيسة، وعن مفهوم الدعوة الإلهيّة إلى الكهنوت واكتشافها ومرافقتها، ومساعدة الشبيبة على الاصغاء للّه الذي يدعو. ليست الدعوة اختيارًا شخصيًّا من الناس، بل هو اللّه يختار من يشاء: "لستم أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتأتوا بالثمار وتدوم ثماركم" (يو ١٥/١٦).

ب- **عقد خلوة روحيّة** ينظّمها كهنة المناطق في الأبرشيّات لتعميق اتّحادهم بالمسيح، والتفكير معًا في السبل التي تساعدهم على هذا

التعمّق. يوصي المجمع البطريركيّ ببعضها، مثل: المثابرة على قراءة الكتب المقدّسة في جوّ من التأمّل والصلاة؛ المحافظة على أوقات الصلاة، وبخاصّة الفرض الإلهيّ وورديّة العذراء، إفراديًّا ومع الجماعة الرعويّة؛ الاسترشاد وفحص الضمير؛ القيام الأمين بالخدمة الكهنوتيّة والراعويّة.

ج- **بما أنّ كهنوت الخدمة بالدرجة المقدّسة هو في خدمة الكهنوت العام** بالمعموديّة، يوصي المجمع البطريركيّ كلّ كاهن، بوصفه علامة لحضور المسيح، أن يعكس صورة المسيح الكاهن، الخادم والراعي، وسط الجماعة الموكولة إليه، ويضع ذاته في علاقة إيجابيّة بالمؤمنين العلمانيين وبالرهبان والراهبات والمكرّسين والمكرّسات في العالم؛ وبوصفه رأس الجماعة باسم المسيح، يجتهد في تعزيز دور العلمانيين والمكرّسين والمكرّسات في حياة الرعيّة ورسالتها حسب مواهبهم، وتنشيط الحركات والمنظّمات الرسوليّة والرابطات المسيحيّة في عيش هويّتها وتأدية رسالتها وإنعاش حياتها المسيحيّة. من أجل هذه الغاية، يتشاور الكهنة مع الجماعات الرهبانيّة والمنظّمات الرسوليّة، حول ما يجب اتّخاذه من مبادرات، بعد إلقاء نظرة وجدانيّة على الواقع، وإبراز الحاجات الروحيّة والراعويّة المطروحة.

٢) **كون العائلة المسيحيّة "كنيسة بيتيّة"**، فإنّ لها دعوة ورسالة تعيشها في محيطها أينما حلّت. يوصي المجمع البطريركيّ المارونيّ، في النصّ ١٠، وعنوانه "العائلة المارونيّة"، بأن تستلهم الأسرة دومًا تعليم الكنيسة حول المفاهيم الأساسيّة للزواج المسيحيّ وراعويّة العائلة. لنا عن هذا التعليم أفضل مختصر في الرسالة الراعويّة الثامنة لمجلس بطاركة

الشرق الكاثوليك، وعنوانها "العائلة مسؤوليّة الدولة والكنيسة" (١٥ آب ٢٠٠٥).

يوصي المجمع البطريركيّ المارونيّ، في النصّ ١٠ (الفقرات ٦٣-٦٦)، بأن تتحمّل العائلة المسيحيّة مسؤوليّتها في الكنيسة والمجتمع، "كجماعة إيمان ورجاء ومحبّة" (في وظائف العائلة المسيحيّة، ٥١):

أ- **تشارك في زرع بذور الايمان** في الحياة الزوجيّة والعائليّة، المهدّدة بالجهل الدينيّ وفقدان القيم الروحيّة. تتشاور الأسرة حول قيمة الايمان، الذي هو هبة من اللّه، في حياتها، وحول كيفيّة إحياء الصلاة في العائلة والتأمّل في الانجيل، وهما وسيلتان لإحياء الايمان وتثقيفه.

ب- **تساهم في تعزيز الرجاء** في أفراد العائلة، الأزواج والأولاد، من أجل الخروج من حالة اليأس والضياع أو اللامبالاة. تتأمّل الأسرة في كيف أنّ اللّه حاضر فيها، وكيف يحملها بين يديه، ويشملها بعنايته. وتبرز دورها الاجتماعيّ الذي يعزّز الرجاء في النفوس.

ج- **تشهد لمحبّة المسيح** عملاً بوصيّته (يو ١٣/٣٥). مدعوّة العائلة لتدرك أنّ الحبّ الإلهيّ يحييها. فهو مسكوب في قلب الزوجين ومنقول إلى الأولاد ومعاش في ممارسة الأبوّة والأمومة المسؤولتين، ما يمكّنها من تجاوز مخاطر التفكّك، بسبب انحراف الحبّ والانزلاق في الأنانيّة. يفكّر أفراد العائلة معًا في كيف أنّ الأسرة هي مدرسة الحبّ النقيّ الصادق، الذي هو أساس كلّ الفضائل والصفات الانسانيّة والخلقيّة، ومن شأنه أن يؤنسن المجتمع، الآخذ في فقدان إنسانيّته.

صلاة

لقد رسمت أيّها القلب الإلهيّ، الكهنوت المسيحيّ في ليلة العشاء السرّيّ، شهادة لعذوبة محبّتك التي لا تُحدّ. تعطّف أيّها القلب الإلهيّ، وهب كنيستك كهنة على مثالك يحبّون الأنفس والفقراء والصليب،... كهنة يسيرون على خطاك، فيحلّ السلام أينما يحلّون، ويفيض الخير حيثما يوجدون. حصّن كنيستك وجمّلها بكهنة صالحين، وأفض عطاياك بواسطتهم على المؤمنين. يا مريم يا أمّ الكهنة، صلّي لأجل أبنائك الكهنة أجمعين. آمين.

أحد الأبرار والصدّيقين

إنجيل القدّيس متّى ٢٥/٣١-٤٦

المشاركة في كهنوت المسيح بالمحبّة والرحمة

تذكّر الكنيسة اليوم وطوال الأسبوع بالتسبيح والتكريم أصفياء الله، الأبرار والصدّيقين، الذين دخلوا الملكوت السماويّ، بعد أن تقدّسوا بمحبّة الآب ونعمة الابن وشركة الروح القدس، وهم يشكّلون حول الثالوث القدّوس **"كنيسة السماء"**. إنّهم مريم والدة الاله، ويوسف البتول، الأنبياء والرسل، الشهداء والمعترفون، القدّيسون والمختارون. يسمّيهم الانجيل "بني اليمين" الذين يجلسهم فادي العالم وديّانه، يسوع المسيح، عن يمينه. تقول عنهم ليتورجيّا الفرض الالهيّ: "على قمم الروح عاشوا، ومنها إلى الله طاروا".

وتستشفعهم **"كنيسة الأرض المجاهدة"** لكي يضرعوا إلى الله من أجل أبنائها وبناتها، ليحفظهم في السعي إليه كما سعوا هم وفقًا لمقتضيات معموديّتهم، فيما يوطّدون على الأرض ملكوت السماوات. وتستشفعهم من أجل **"الكنيسة المتألّمة"** في حالة المطهر، أي من أجل أبنائها وبناتها المخلَّصين الذين يتطهرون "بالنار" من نتائج خطاياهم، قبل مشاهدة وجه الله (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٠٣٠-١٠٣١).

وتتأمّل في سيرتهم، لكي يكونوا مثالاً يحتذى به وقدوة للمؤمنين، لكونهم معلّمي الحياة الروحيّة، وشهود إيمان ورجاء ومحبّة.

■ أوّلاً: تفسير الانجيل

١.الدينونة العامّة

إنّه إنجيل **الدينونة الأخيرة**: في حقيقتها ومضمونها وغايتها وإجرائها.

حقيقة الدينونة راهنة ولا لُبس فيها. وصفها **الأنبياء** بيوم الربّ العظيم، إذ تقف بين يديه ربوات ربوات، ويجلس أهل القضاء ويُفتح الكتاب الذي تُدوَّن فيه جميع صالحات الإنسان وسيّئاته (دانيال ٧/ ١٠، ملاخي ٣/ ١٦). هو الربّ يجمع كلّ الأمم وينزلهم إلى وادي يوشفاط ويحاكمهم هناك (يوئيل ٣/ ٢). لفظة يوشفاط تعني "اللّه يدين"، وأصبحت الاسم الرمزيّ "للمكان" الذي تتمّ فيه الدينونة: "لتنهض الأمم وتصعد إلى وادي يوشفاط، فإنّي هناك أجلس لأَدين جميع الأمم من كلّ ناحية" (يوئيل ٣/ ١٢)، ويسمّيها يوئيل النبيّ "وادي القرار" (٣/ ١٤)، وحُدّد مكانها بالقرب من أورشليم، وهي "وادي قدرون" في الجنوب الشرقيّ للهيكل. يصف **يوحنّا الرسول** الدينونة في رؤياه: "ورأيت عرشًا عظيمًا أبيض والجالس عليه... ورأيت الأموات كبارًا وصغارًا قائمين أمام العرش. وفُتحت كتب (دوّنت فيها أعمال البشر)، وفُتح كتاب آخر هو سفر الحياة (السجلّ السماويّ الذي تدوّن فيه أسماء المختارين). فحوكم الأموات واحدًا واحدًا وفقًا لما دُوّن في الكتب، على قدر أعمالهم (رؤيا ٢٠/ ١١-١٣).

مضمون الدينونة يدور حول **كيفيّة قبول النعمة** من اللّه والتفاعل معها بالتوبة والسلوك في الحياة الجديدة (أنظر متّى ١١/ ٢٠-٢٤ حيث يسوع يعنّف بيت صيدا وكفرناحوم، وفي متّى ١٢/ ٤١-٤٢: الجيل الفاسد الذي لم يتب بإنذار يونان)،

ويدور بالتالي حول **موقف الانسان** تجاه أخيه بالمحبّة والرّحمة، حيث ينكشف حسن استقبال النعمة والمحبّة الالهيّة أو رفضها، كما يظهر في إنجيل اليوم.

غاية الدينونة **الثواب أو العقاب وفقًا** لأعمال كلّ إنسان، خيرًا كانت أم شرًّا، وقد جاء ابن الله ليخلّص الإنسان، "فالله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلّص العالم" (يو ٣/١٧)، وليعطيه الحياة الالهيّة: "أتيت لتكون لهم الحياة وتفيض فيهم" (يو ١٠/١٠). فمن يقبل نعمة الله ويحيا بموجبها ينال **الخلاص** الأبديّ، ومن يرفضها ويرفض روح المحبّة الذي هو الروح القدس (متّى ١٢/٣٢)، ينال **الهلاك** الأبديّ الذي استحقّته أعماله.

أمّا **مُجري الدينونة** فهو يسوع المسيح، ابن الانسان. إنّه سيّد الحياة الأبديّة، وله أن يحكم نهائيًّا على أعمال البشر وقلوبهم، بكونه فادي العالم. ولقد اكتسب بصليبه هذا الحقّ، ففوّض الآب إليه كلّ دينونة (يو ٥/٢٢؛ التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة ٦٧٩).

إنّها **الدينونة الأخيرة** بالنسبة إلى دينونتين سابقتين: واحدة **عند ساعة الموت** لكلّ واحد منّا، كما يؤكّد مثل لعازر والغنيّ (لو ١٦/١٩-٣١)، وخلاص لصّ اليمين (لو ٢٣/٤٣)، وكلام بولس الرسول: "لا بدّ لنا جميعًا من أن يُكشف أمرنا أمام محكمة المسيح لينال كلّ واحد جزاء ما عمل وهو في الجسد، خيرًا كان أم شرًّا" (٢ كور ٥/١٠؛ التعليم المسيحيّ ١٠٢١-١٠٢٢). وواحدة في سرّ التوبة حيث يخضع الخاطىء لحكم الله الرحوم، ويستبق نوعاً ما الحكم الذي سوف يخضع له في ختام حياته التاريخيّة. **سرّ التوبة** عطيّة عظمى من محبّة الله، لأنّه يمكّن الإنسان، إذا ما ارتدّ إلى المسيح بالتوبة والإيمان، من أن ينتقل من الموت إلى الحياة ولا يخضع للدينونة (يو

٢٤/٥). فالتوبة هي الباب المفتوح أمامنا لدخول ملكوت السماء (التعليم المسيحيّ ١٤٧٠).

٢. الأبرار والصدّيقون هم الذين عاشوا مقتضيات معموديّتهم في المحبّة والرحمة

نعمة اللّه، التي يقبلها الأبرار فيخلصوا، ويرفضها الأشرار فيهلكوا، إنّما تعطى لنا في سرّ المعموديّة وتتجلّى في الحياة الجديدة التي نحياها في الكهنوت العامّ، مشاركين في كهنوت المسيح.

الكهنوت العامّ هو كهنوت كلّ المعمّدين، وقد أصبحوا، كما يقول بطرس الرسول: "الجيل المختار، الكهنوت الملوكيّ، والأمّة المقدّسة، والشعب المقتنى، ليخبروا بفضائل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب" (١ بطرس ٢/٩). أصبحوا كذلك بفضل مسحة الروح القدس التي قبلوها في المعموديّة. كانت المسحة تُعطى، في العهد القديم، للملك والكاهن، أمّا في العهد الجديد فتُعطى لجميع المسيحيين على ما يقول القدّيس أغسطينوس: "إنّ رأسنا المسيح لم يتقبّل وحده المسحة، بل نحن أيضًا تقبّلناها معه، لأنّنا جسده. وإذا كنّا جسد المسيح، فهذا ناجم بوضوح عن كوننا قد تقبّلنا المسحة، وأصبحنا في المسيح ممسوحين ومسحاء، لأنّ الرأس والجسد يؤلّفان، على وجه ما، المسيح الكامل. وكما أنّنا ندعى جميعًا مسيحيين بسبب المسحة السريّة، كذلك ندعى جميعنا كهنة لأنّنا كلّنا أعضاء في جسد الكاهن الأوحد (الإرشاد الرسوليّ للبابا يوحنّا بولس الثاني: العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، عدد١٤). لقد تبسّط المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني في مفهوم الكهنوت العامّ في الدستور العقائديّ "في الكنيسة" (عدد ٣٤-٣٦). إنّه الكهنوت العامّ بالنسبة إلى كهنوت الدرجة المقدّسة، المعروف **بكهنوت الخدمة**. وكلاهما يشتركان، على نحو خاصّ في كهنوت المسيح

الواحد. ولئن كانت المشاركة في رسالة المسيح هي مشاركة في الخدمة الكهنوتيّة والنبويّة والملوكيّة، فإنّها تختلف في كهنوت الخدمة عنها في الكهنوت العامّ، لأنّ الأوّل، بما له من سلطان مقدّس، ينشىء الثاني الذي وهو الشعب الكهنوتيّ، ويقوده ويوجّهه إلى عيش كهنوته العامّ.

الأبرار والصدّيقون هم الذين تقدّسوا من خلال ممارسة رسالة كهنوتهم، سواء في **كهنوت الخدمة** بالنسبة إلى الذين مُنحوا سرّ الدرجة المقدّسة في الأسقفيّة والكهنوت والشمّاسيّة، **أم في الكهنوت العامّ** بالنسبة الى الذين عاشوا مؤمنين علمانيين أو اعتنقوا الحالة الرهبانيّة أو تكرّسوا للّه في العالم على غرار الرهبان والراهبات.

طريقنا إلى اللّه والخلاص الأبديّ يمرّ عبر الكهنوت العامّ في أبعاده الثلاثة: العبادة الروحيّة (**الخدمة الكهنوتيّة**)، قبول إنجيل الخلاص ونشره (**الخدمة النبويّة**)، والانتصار على الشرّ في خدمة الإخوة بالمحبّة والعدالة (**الخدمة الملوكيّة**). **ولقد تلألأ** الأبرار في هذه الخدم، فبلغوا إلى حيث رأس جسدهم، لأنّه حيث يكون الرأس هناك يصل الأعضاء.

أ- قوام **الخدمة الكهنوتيّة** أن يتّحد المعمَّدون، بصفتهم أعضاء في جسد المسيح، في ذبيحة الفادي التي قدمّها على الصليب، ويواصل تقدمة ذاته في سرّ الأفخارستيّا. إنّهم يتّحدون بذبيحة المسيح من خلال تقدمة ذواتهم وأعمالهم للربّ، كما يناشدهم بولس الرسول: "أناشدكم بمراحم اللّه أن تقيموا من أجسادكم ذبيحة حيّة، مقدّسة، ومقبولة لدى اللّه بعبادة روحيّة" (رومية ١٢/١). إنّ كلّ أعمالهم وصلواتهم ونشاطاتهم الرسوليّة وحياتهم الزوجيّة والعائليّة وأشغالهم اليوميّة ومشقّاتهم، إنّما يضمّونها قرابين روحيّة إلى تقدمة جسد الربّ في الأفخارستيّا،

لتُرفع إلى الآب بكلّ تقوى (العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ١٤). تدخل في إطار الخدمة الكهنوتيّة، وفقًا لإنجيل الدينونة، مساعدة الإخوة الصغار مثل: **زيارة المريض وافتقاد المسجون.**

ب- يشارك في **الخدمة النبويّة** كلّ من ينفتح على إنجيل ملكوت اللّه، الذي أعلنه الربّ يسوع، بشخصه وكلامه وأعماله، وكلّ من يقبل كلام اللّه بإيمان، ويعلنه بالكلمة وشهادة الأعمال، ويندّد بالشرّ، ويجسّد جدّة الإنجيل وفعاليّته في حياته اليوميّة، العائليّة والاجتماعيّة، ويصمد ثابتًا في الرجاء وسط مشقّات الزمن الحاضر (المرجع نفسه). إنّها حضارة الإنجيل المعلنة في كلام الربّ اليوم، وهي حضارة تتحقّق أوّلاً في قلب الإنسان وفي نوعيّة مسلكه الاجتماعيّ. بدافع منها، ينطلق المسيحيّون إلى خدمة الإخوة الصغار يقينًا منهم أنّ كلمة المسيح "كلّ ما صنعتم لأحد إخوتي هؤلاء الصغار فلي قد صنعتموه" (متّى ٢٥/٤٠) ليست مجرّد أمنية تقويّة، بل هي في حياتهم التزام بمساعدة الفقير ومواجهة كلّ أشكال الفقر الماديّ والثقافيّ والدينيّ والاقتصاديّ (البابا يوحنّا بولس الثاني: السنة المئة، ٥٧). وهي في الإنجيل **إطعام الجائعين** إلى خبز وعلم وتربية وفرصة عمل ووسائل لتحيق ذواتهم، **وإيواء الغرباء** الباحثين عن مسكن ودور وانخراط في مجتمعهم الجديد.

ج- أمّا المشاركة في **الخدمة الملوكيّة**، التي دشّن بها السيّد المسيح زمنًا جديدًا مَرضيًّا للربّ (لو ٤/١٩) ونشر ملكوت اللّه على الأرض، فتدعو المؤمنين إلى الصراع الروحيّ لتدمير سلطان الخطيئة فيهم، وإلى تكريس ذواتهم لخدمة المحبّة والعدالة (العلمانيّون المؤمنون بالمسيح ١٤)، مثل **سقي العطشان** الى ماء وعدالة وحقوق؛ **وكسوة**

العريان بلباس ماديّ وبثوب الكرامة والصيت الحسن. فكلام الربّ في إنجيل اليوم يعلن الحقيقة **في شأن خيرات الأرض** التي وكّلها الله إلى البشر ليثمّروها ويمتلكوها ويحسنوا التصرّف بها، ويشركوا المعوزين فيها؛ ويعلن الحقيقة **في شأن الفداء** الذي أنقذ جميع الناس وآتاهم أن يكونوا مسؤولين بعضهم عن بعض، بحيث أنّ من نال من جودة الله وفرة من الخيرات الروحيّة والماديّة، فقد نالها بهدف استعمالها لكماله الشخصيّ، وفي الوقت نفسه كخادم للعناية الالهيّة في التخفيف من عوز الآخرين (السنة المئة ٥١، الشؤون الحديثة، ١٩).

■ ثانياً: الخطّة الراعويّة

إنجيل الدينونة في تذكار الأبرار والصدّيقين يؤكّد أنّ طريق الإنسان إلى الله يمرّ عبر أخيه الانسان. فالخلاص الشخصيّ يرتكز على عيش المحبّة والعدالة تجاه الإخوة في حاجاتهم الماديّة والثقافيّة والروحيّة والمعنويّة تحت عناوين الجوع والعطش والحرمان والغربة والمرض والأسْر. إنجيل اليوم دعوة من المسيح، الإنسان الكامل، للالتزام الشخصيّ في تأمين هذه الحاجات بعضنا لبعض، وتحرير الواحد الآخر من كلّ ما يعوّق نموّه الشامل، "لأنّ مجد الله الإنسان الحيّ"، على ما يقول القدّيس إيريناوس (رجاء جديد للبنان، ١٠٠).

ترتكز **الخطّة الراعويّة** لهذا الأسبوع على النصّ ٢٠ للمجمع البطريركيّ المارونيّ، بعنوان: "الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ".

١) يتعمّق الأفراد والجماعات: في الرعيّة والأسرة والدير والمدرسة والمنظّمة الرسوليّة والمؤسّسة، **في مفهوم الإنسان ككائن اجتماعيّ**.

فاللّه لم يخلق الإنسان كائنًا متوحّدًا، بل أراده كائنًا اجتماعيًّا. لذلك ليست الحياة الاجتماعيّة أمرًا غريبًا عن الإنسان؛ فهو لا يستطيع أن ينمو ويحقّق دعوته إلاّ من خلال العلاقة مع الآخرين (مجمع عقيدة الإيمان: الحريّة المسيحيّة والتحرير، ٣٢؛ النصّ المجمعيّ ٢٠، فقرة ٢). أي مبادرات يمكن اتّخاذها لكي يعيش الأفراد والجماعات البعد الاجتماعيّ على كلّ من المستوى الماديّ والروحيّ، الثقافيّ والخلقيّ، في ضوء إنجيل اليوم؟

٢) **يوصي المجمع البطريركيّ** المارونيّ في النصّ ٢٠ (الفقرات ٢٢-٢٤) بناء مجتمع قائم على مبادىء أساسيّة ثلاثة، هي:

أ- **التضامن**، وهو "العزم الثابت والدائم على العمل من أجل خير كلّ إنسان، وخير الجميع، لأنّنا جميعنا مسؤولون حقًّا عن الجميع" (الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ، ٣٨). يذكّرنا المجمع أنّ التضامن كان ممارسًا عندنا في "**العونة**". الجماعات، في الرعيّة والأسرة والمؤسّسة والمنظّمة، تفكّر معًا في رسم خطّة عمليّة لعيش التضامن وممارسة "العونة".

ب- **العدالة**، وهي فضيلة خلقيّة تؤمّن لكلّ إنسان حقوقه الأساسيّة ليعيش بكرامة على المستوى المعيشيّ والثقافيّ والروحيّ والاجتماعيّ. المجمع البطريركيّ يدعو الأفراد والجماعات لتعزيز روح العدالة وممارستها تجاه الجميع، وبخاصّة الفقراء والمحتاجين. إنجيل اليوم يستحثّنا على التفكير معًا في وسيلة تعزيز هذه الروح، وفي مبادرات عمليّة تجسّد العدالة التي تثمر السلام في رعايانا وعائلاتنا ومؤسّساتنا ومجتمعنا. "فالسلام ثمرة العدالة" (أشعيا ٣٢/٣٧).

ج- **ترقّي الإنسان والمجتمع** بالانماء الشامل الذي يمكّن الشخص

البشريّ من الحصول على حقوقه الاجتماعيّة الأساسيّة التي يعدّدها المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهي الوجه الحقوقيّ للجائع والعطشان والعريان والمريض والغريب والسجين. هذه الحقوق هي: الحقّ في بناء عائلة، والحقّ في المسكن، والحقّ في العمل، والحقّ في الصحّة والطبابة، والحقّ في التعليم والثقافة (النصّ ٢٠، الفقرات ٢٨-٣٧). الجماعات عندنا تحدّد إمكانيّاتها والوسائل والمبادرات للعمل معًا على ترقّي الإنسان، لكي بترقّيه يترقّى المجتمع.

صلاة

يا ربّ، لقد أردت أن يكون لكلّ الشعوب أصل واحد، وتريد أن تجمعهم في عائلة واحدة، فاجعل البشر يعترفون إنّهم إخوة ويعملون في التضامن لانماء كلّ الشعوب، حتّى يتمّ الاعتراف بحقوق كلّ إنسان، وتعرف الجماعة البشريّة زمنًا ينعم بالمساواة والسلام. وليكن الأبرار والصدّيقون قدوة لنا في السير إليك عبر إخوتنا الصغار، وقد شئت أن تتماهى معهم، لترفعهم إلى مستوى كرامتهم كأعضاء في جسدك السرّيّ ومفتدين بدمك الثمين. لك المجد إلى الأبد. آمين (صلاة البابا يوحنّا بولس الثاني).

تذكار الموتى المؤمنين

إنجيل القدّيس لوقا ١٦/١٩-٣١

قيمة الحياة والمحبّة الاجتماعيّة

نختم اليوم أسابيع التذكارات الثلاثة ، **فنذكر** موتانا الذي سبقونا الى بيت الآب: **نصلّي** من أجل راحة نفوسهم في مشاهدة وجه اللّه، رافعين الصلوات عنهم ومقدّمين القدّاسات، متمّمين أعمال رحمة ومحبّة، وحاملين بصبر صليب الألم ومشقّات الحياة. **ونسأل اللّه** أن يخفّف من آلامهم المطهريّة وينقلهم إلى سعادة السماء، **ونستشفعهم** ليضرعوا إلى اللّه من أجلنا لكي نبلغ إلى ميناء الخلاص في هذه الدنيا وفي الآخرة.

تتأمّل الكنيسة في مثل **الغنيّ ولعازر** لكي تقود تفكيرنا إلى فهم العلاقة بين الحياة والموت، ومعنى الغنى والفقر، والدينونة الشخصيّة ومضمونها.

■ أوّلاً: مضمون الانجيل

١. العلاقة بين الحياة والموت

ولدنا لنموت. كلمة صعبة تحطّم المعنويات للوهلة الأولى. ولكن، في ضوء الكلمة الإلهيّ، ابن اللّه الذي "تجسّد من أجلنا ومن أجل خلاصنا"، ينجلي لغز الانسان في حياته وموته (الكنيسة في عالم اليوم، ١٠ و٢٢)، وتأخذ

الحياة والموت معنى، فيسهلان. **الولادة** من حشى الأمّ هي بداية وجود تاريخيّ وأبديّ. **الموت** هو نهاية الوجود التاريخيّ وبداية الوجود الأبديّ: الوجود الأوّل يهيئ الثاني، والوجود الثاني نتيجة حتميّة للأوّل. الوجود الأوّل طريق نسلكه، والثاني هدف نصل إليه. يعلّم السيّد المسيح هذه الحقيقة في مثل الغنيّ ولعازر: **الوجود الأوّل** (لو ١٦/١٩-٢١) يصف حياة كلّ من الغنيّ ولعازر ومسلكهما. **الوجود الثاني** (لو ١٦/٢٦) يصف النتيجة ونقطة الوصول: خلاص لعازر وسعادته الأبديّة، وهلاك الغنيّ وعذابه الأبديّ. **ولأنّنا ولدنا لنموت**، فالربّ ينير حياتنا وموتنا بكلامه الحيّ، لنعرف كيف يجب أن نحيا ونموت. (القسم الأخير من مثل الغنيّ والفقير: لو ١٦/٢٧-٣١). إضاءة الشموع في التذكار السنويّ للمولد والمعموديّة وعند الموت رمز لكلام اللّه الذي هو نور الحياة والموت .

نولد ونموت من دون قرار منّا. حتّى الانتحار ليس قرارًا حرًّا، بل هو قرار بالإكره تحت وطأة الضغط، فيفقد قيمة القرار الحرّ. لكن كلّ واحد منّا **يقرّر** نوعيّة وجوده التاريخيّ، أكان في ضوء كلام اللّه الذي هو "روح وحياة" (يو ٦/٦٣)، أم في ظلمة الخطيئة والشرّ. وبالتالي **يقرّر** كلّ واحد منّا **نوعيّة** وجوده الأبديّ إخلاصًا كان أم هلاكًا. ولهذا السبب حبانا اللّه ثلاث مَلَكات: **العقل** الذي يقودنا إلى الحقيقة، **والإرادة** التي بها نحبّ الحقيقة ونفعل الخير، **والحريّة** التي بها نصنع خياراتنا اليوميّة في إطار الحقيقة والخير. وبما أنّنا سريعو العطب، بسبب جرح الخطيئة الأصليّة ونقصنا كخلائق، **ينحرف العقل**، مخدوعًا، إلى ظلمة الضلال، **وتنجرف الإرادة** في خطّ الأنانيّة والشرّ، **وتسكر الحريّة** في هوى خياراتها المدمِّرة. فأعطانا اللّه كلامه ونعمته، غفرانه وجسده، لنشفى ونصحّح وننهض ونتقوّى: "عندهم موسى والأنبياء، فليسمعوا لهم" (لو ١٦/٢٩). هكذا أجاب إبراهيم الغنيّ، عندما

طلب منه أن يرسل لعازر إلى إخوته لكي يتوبوا وينجوا من مكان عذابه. ذلك أنّ لعازر نفسه كان لهم نداء للتوبة، من عند الربّ، فلم يتوبوا: ويبقى لهم النداء في شخص الجائعين والعطشى وسائر المعوزين. "موسى والأنبياء" هم اليوم **الكنيسة** التي تعلن كلمة الحقّ والحياة بالكرازة والتعليم، وتوزّع نعمة الخلاص بالأسرار، وتدعو إلى خدمة المحبّة والعدالة.

نموت كما نعيش: "في جميع أعمالك، أذكر أواخرك فلن تَخطأ أبدًا" (ابن سيراخ ٧/٣٦). إذا أحسنت عيش الحياة تحسن الموت. نعني بالحياة كلّ مداها التاريخيّ من مهدها إلى لحدها، قصيرة كانت أم طويلة، فلا تؤخذ مجتزأة لما تحتوي من مفاجآت في دروب التاريخ. ولهذا قال الربّ بلسان يشوع بن سيراخ: "لا تغبط أحدًا قبل موته، فإنّ الرجل يُعرف عند موته" (سيراخ ١١/٢٨).

٢. الغنيّ ولعازر

لم يهلك **الغنيّ** لأنّه غنيّ وذو ثروة، فالغنى نعمة من اللّه وبركة، كما نقرأ في الكتاب المقدّس (مز ١٠٤/٢٤؛ مز ١٠٥/٢١؛ جامعة ٥/١٨؛ ٦/٢). وبحبوحة الخير هي أفضل ما يتمنّى الناس بعضهم لبعض. لكنّ مشكلة الغنيّ هي أنّه وضع سعادته في غناه: فعاش في **الطمع** برغبة التملّك اللامحدود لخيرات الأرض؛ وعاش في **الجشع** بالهوى المفرط والمنفلت للثروة وقدرتها (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة ٢٥٣٦)؛ وعاش في **الأنانيّة** ممسكًا قلبه ويده عن مساعدة لعازر الفقير. **فرذله اللّه**، لأنّ الامتناع عن إشراك الفقراء في خيراتنا الخاصّة هو سرقة حقوقهم واستلاب حياتهم. والخيرات التي نحوزها ليست لنا، بل هي لهم (القدّيس يوحنّا فم الذهب)؛ ولأنّ مساعدة الفقراء واجب من باب العدالة: "لا بدّ أوّلاً من تلبية مقتضيات

العدل، خوفًا من أن نهبَ كعطيّة محبّة ما هو واجب من باب العدل" (المجمع الفاتيكانيّ الثاني: رسالة العلمانيين ٨).

الفقير الذي تجب مساعدته، والمحتاج الذي يجب إشراكه في ثروتنا وفي ما نملك، ليس الفقير والمحتاج ماديًّا وحسب، بل وروحيًّا وثقافيًّا ومعنويًّا أيضًا. إنّ محبّة الكنيسة للفقراء جزء من تقليدها المستمرّ، وحبّ تفضيليّ لهم. فما برحت منذ بدايتها تعمل على مساعدتهم والدفاع عنهم وتحريرهم. وقد فعلت ذلك بأعمال خيريّة لا تحصى، معروفة بأعمال الرحمة والمحبّة: **أعمال رحمة جسديّة** تجلّت في إطعام الجائع، وإيواء الشريد، وكسوة العريان، وعيادة المريض، وزيارة السجين، والإحسان إلى الفقراء، والاعتناء باليتيم والمعاق والعجوز؛ **وأعمال رحمة روحيّة** ظهرت في التعليم والارشاد والتعزية وتقوية العزائم والمغفرة والمصالحة.

ليست **مشكلة الغنيّ** في ملكيّته، فهي حقّ طبيعيّ للإنسان أقرّته الشرائع الالهيّة والبشريّة (البابا لاون الثالث عشر: الشؤون الحديثة، ٦-٨)، بل **في عبادة ملكيّته وثروته**. فكان الغنى الاله الأكبر عنده، إذ راح يبحث عن سعادته في غناه لا في اللّه. نقرأ في التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة: "الغنى في يومنا هو الاله الأكبر؛ ويؤدّي له الناس إكراماً عفويًّا. إنّهم يقيسون السعادة بمقياس الغنى، وبمقياس الغنى أيضًا يقيسون الكرامة، لاعتقادهم أنّ الإنسان الحاصل على الثروة يقدر على كلّ شيء. الغنى إذن صنم من أصنام اليوم (فقرة ١٧٢٣). الملكيّة الخاصّة ضروريّة للحياة البشريّة، لكنّها تفترض حسن التصرّف بها، إذ لا يحقّ للانسان أن يعتبر الأشياء التي يملكها خاصّة به وحده، بل ينبغي أن يعتبرها مشتركة، عملاً بوصيّة بولس الرسول: "أوصِ أغنياء هذا العالم ألاّ يتّكلوا على الغنى الذي لا اتّكال عليه، بل على اللّه الحيّ الذي وهبنا بكثرة كلّ شيء لراحتنا، وأن يصنعوا الخير ويطلبوا الغنى بالأعمال الحسنة، فيعطوا ويشاركوا بسهولة" (١ طيم ٦/١٧-١٨).

لعازر الفقير لم ينل الخلاص لأنّه فقير؛ فاللّه كلّيّ الجودة لا يريدنا فقراء بمعنى العوز والحرمان، بل يريدنا فقراء بالروح،غير متعلّقين بأموال هذه الدنيا حتّى عبادتها، ومتجرّدين، وكأنّنا "لا نملك شيئًا فيما نحن نملك كلّ شيء" (٢ كور ٦/١٠). **نال لعازر الخلاص لأنّه ارتضى حالة الفقر**، وصبر على محنته، وحمل صليبه دونما اعتراض، واتّكل على عناية اللّه، وعاش في تواضع؛ ونال الخلاص لأنّه لم يشتهِ مال الغنيّ، رافضًا اللجوء إلى العنف والسرقة والاحتيال والتعدّي الظالم، عملاً بوصايا اللّه؛ ولأنّه كان حرًّا من "شهوة العين" (١ يو ٢/١٦) نقيّ القلب وصافي النيّة.

تعلّم الكنيسة أنّ الفقر ليس عارًا. فالسيّد المسيح "وهو الغنيّ، جعل نفسه فقيرًا" (٢ كور ٨/٩) من أجل خلاص البشر؛ مع أنّه ابن اللّه، بل اللّه ذاته. لقد شاء أن يظهر للناس كابن لنجّار، ولم يتورّع عن قضاء قسم كبير من حياته في عمل مأجور: "أليس هذا النجّار ابن مريم؟" (مر ٤/٣).الغنى الحقيقيّ الذي يحفظ كرامة الانسان الأصليّة وسمّوه، هو في فضائله الروحيّة والانسانيّة (الشؤون الحديثة ٢٠). إنّ قلب اللّه يميل أكثر إلى الطبقات البائسة: فيسوع المسيح شاطر الفقراء حياتهم من المهد إلى الصليب، فعرف التهجير والجوع والعطش والعريّ؛ بل تماهى مع الفقراء بكلّ أنواعهم، وجعل من حبّهم الفاعل شرطًا لدخول الملكوت (متّى ٢٥/٣١-٤٦)؛ وطوّبهم لأنّ ملكوت اللّه لهم (متّى ٥/٣)؛ وأعلن أنّه جاء يحمل إليهم بشرى الخلاص (لو ٤/١٨)؛ ودعاهم ليأتوا إليه حتّى يؤاسيهم ويخفّف من أعبائهم (متّى ١١/٢٨).

٣. الدينونة الشخصيّة

نُدان على مدى **ردم الهوّة القائمة** بين الغنى الشخصيّ وحاجة الآخر،

على مختلف المستويات: ماديًّا وروحيًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا. **قوام ردم الهوّة** أن تنزل نفس الغنيّ المتشامخة من عليائها وتتّضع، وأن يعتصم الفقير بكرامته ودِعته وخلقيّته ويتشجّع، فتمتدّ الأيدي من الجانبين وتتّحد الارادات في **الصداقة الانسانيّة** (البابا لاوون الثالث عشر)، **والمحبّة الاجتماعيّة** (البابا بيوس الحادي عشر)، **وحضارة المحبّة** (البابا بولس السادس)، **والتضامن والانماء** (البابا يوحنّا بولس الثاني).

نردم الهوّة عندما نعمل بمبدأ أنّ كلّ خيرات الطبيعة وكلّ كنوز النعمة هي ملك مشترك لكلّ الجنس البشريّ من دون تمييز (الشؤون الحديثة ٢١). وهذا واجب على الأفراد والمؤسّسات، وعلى الحكّام والدول. **المطلوب** بناء عالم يستطيع فيه كلّ إنسان أن يعيش حياة بشريّة كريمة بكلّ معناها الروحيّ والماديّ، والثقافيّ والاجتماعيّ، دونما تمييز في العرق والدين والجنس،.. عالم يستطيع فيه لعازر أن يجلس إلى مائدة الغنيّ (البابا بولس السادس: ترقيّ الشعوب ٤٧).

نُدان على المحبّة الاجتماعيّة، أيّ الحبّ التفضيليّ للفقراء الذي يفتح قلبنا وفكرنا ويدنا على الجماهير الكثيرة من الجائعين والمتسوّلين والذين لا ملجأ لهم، والذين تنقصهم العناية الطبيّة، والذين ينقصهم الرجاء، والمحرومين من حريّتهم الدينيّة ومن حقّهم في الحياة السياسيّة أو من حقّهم في المبادرة الاقتصاديّة. المحبّة الاجتماعيّة هي التزام بالمبدأ المميّز للتعليم الاجتماعيّ المسيحيّ: "خيرات هذه الأرض معدّة في الأصل لجميع الناس" (الكنيسة في عالم اليوم، ٢٩)، وبالتّالي يقع على الملكيّة الخاصّة "رهن اجتماعيّ"، يعطيها وظيفة اجتماعيّة هي مهمّة الالتزام بالفقراء، ويبرّر وجودها انطلاقًا من مبدأ شموليّة خيرات الأرض. نكران هذه الحقيقة يُعتبر تشبّهًا بالغنيّ المترف، الذي تجاهل لعازر المسكين المنطرح عند باب بيته (الاهتام بالشأن الاجتماعيّ، ٤٢؛ أم ومعلّمة، ١٠٦).

■ ثانيًا: الخطّة الراعويّة

إنجيل الغنيّ ولعازر يبيّن كيف أنّ الملكيّة الخاصّة، مهما كان حجمها، قد تعمي قلب صاحبها وعقله وضميره، فلا يعنيه أمر المحروم منها ومن ثمارها؛ فيحتاج إلى من ينيّره فيخرجه من عماه، وينجّيه من هلاكه الأبديّ.

"**عندهم موسى والأنبياء، فليسمعوا منهم!**" (لو ١٦/ ١٩). هي الكنيسة تنير العقول والقلوب والضمير بتعليمها الاجتماعيّ، الذي يردّد صدى صوت المسيح لنصرة "الإخوة الصغار"، الذين هم كلّ إنسان في حاجة أو فاقة أو عوز، سواء على المستوى الماديّ والثقافيّ أم الروحيّ والاقتصاديّ، أم الانسانيّ والاجتماعيّ. لعازر يمثّل هؤلاء الإخوة.

الخطّة الراعويّة لهذا الاسبوع تقود خطانا إلى تعليم الكنيسة الاجتماعيّ، الذي يستعرضه بإيجاز المجمع البطريركيّ المارونيّ في النصّ ٢١ بعنوان: "الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة" (الفقرات ١-٢٥).

١) يتعمّق الأفراد والجماعات: في الرعيّة والأسرة والدير والمؤسّسة والمنظّمة وما شابهها، في مفهوم الملكيّة الخاصّة، أيًّا كان نوعها وقيمتها وملكيّتها، في ضوء تعليم الإنجيل والكنيسة:

"الحقّ الطبيعيّ في الملكيّة الخاصّة ليس حقًّا مطلقًا، لأنّه حقّ تابع لمبدأ التوزيع المنصف لخيرات الأرض المعدّة من اللّه لجميع الناس. وهذا المبدأ لا يسقط أبدًا، بل يقودنا إلى تغيير جذريّ في الذهنيّة الاستهلاكيّة القائلة بحقّ استعمال ما نملك حتّى الإسراف، دونما اهتمام بشأن الآخرين. فمن يملك، إنّما يملك لأجل الجميع. تلك هي الحقيقة المسيحيّة الملزمة" (البابا بيوس الثاني عشر: "رسالة إذاعيّة في عيد العنصرة" سنة ١٩٤١؛ البابا يوحنّا الثالث والعشرون: "أمّ ومعلّمة" سنة

١٩٦١؛ تعليم البابا يوحنّا بولس الثاني في رسالته "الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ" سنة ١٩٨٧؛ المجمع البطريركيّ المارونيّ، النصّ ، ٢١ فقرة ٤).

مشكلة الغنيّ في اللوحة الإنجيليّة كانت إسرافه في ملكيّته الخاصّة، من دون إشراك لعازر ولو بفتات منها.

تقتضي **الخطّة الراعويّة** أخذ مبادرات عمليّة مناقضة "لعقليّة الاستهلاك"، وصادرة عن "**ثقافة خلقيّة**" توجّه ما نمتلك من موارد وإمكانيّات، ماديّة وروحيّة وثقافيّة واقتصاديّة ومعنويّة، نحو خير الآخر والآخرين.

٢) **يوصي المجمع البطريركيّ المارونيّ** في النصّ ٢١ المذكور، بجعل النظرة إلى الحياة الاقتصاديّة نابعة من اللّه، وبتنظيم الحياة الاقتصاديّة والماديّة وفقاً لإرادة اللّه، وبنبذ الممارسات السائدة، مثل: استغلال القويّ للضعيف، والغنيّ للفقير، وربّ العمل للعامل؛ والتسلّط والهيمنة والبذخ المفرط؛ والكسب غير المشروع والرشوة والخوّة من غير تعب الإنسان وعمله الإنتاجيّ.

أ- يعمل الأفراد والجماعات على تعزيز ثقافة المشاركة والمساواة في الحقوق الأساسيّة، من خلال مبادرات تعاونيّة وتعاضديّة في الرعيّة والبلدة، على أساس العدالة والمحبّة. وننوّه بصندوق الخدمات الاجتماعيّة والانمائيّة في كلّ رعيّة، الذي يغتذي من ١٠٪ من مدخول الوقف كبيت كبير فيها، ومن مساهمة المؤمنين والمؤمنات بشكل دؤوب فيه بحكم الوصيّة "أَوفِ البركة أو العشر"، وعملاً بالممارسة المسيحيّة في الكنيسة الناشئة: "كان جماعة المؤمنين يتشاركون في ما يملكون، فلم يكن بينهم محتاج" (أعمال ٤/ ٣٢ و ٣٤).

ب- تلتزم معًا في تعزيز القيم الخلقيّة، بحيث تكون الأساس في النشاط الاقتصاديّ. في طليعة هذه القيم كرامة الشخص البشريّ، وحصوله على حقوقه المشروعة بحكم العدالة والإنصاف؛ تأمين الخير العامّ والعمل على تجنّب قهر الانسان وحرمانه من التمتّع بالخيرات المشتركة بين البشر، وإخضاع كلّ الأعمال الاقتصاديّة لمبدأ الخير العام؛ ووضع الخيرات، التي خلقها اللّه ورتّبها لجميع الناس، في متناول الجميع بإنصاف ووفقًا للعدالة والمحبّة. ولنا في تعليم الكنيسة الاجتماعيّ مورد كبير لتعزيز هذه القيم الخلقيّة في النشاط الاقتصاديّ (رسالة البابا لاوون الكبير: الشؤون الحديثة (١٨٩١)، رسالة البابا بيّوس الحادي عشر: السنة الأربعون (١٩٣١)، ورسالة البابا يوحنّا بولس الثاني، السنة المئة (١٩٩١). كلّها تصب في "أهميّة الأخلاق في الحقل الاقتصاديّ").

صلاة

إبقَ معي يا ربّ بنور إنجيلك، إنجيل الحياة، وبنورَ تعليم الكنيسة، لكي ينفتح قلبي على حاجة إخوتي، وأمدّ إليهم يد المساعدة بروح التضامن والعدالة والمحبّة. إبقَ معي أيّها المسيح لأنّك نوري وبدونك أنا في الظلمة وبدون حرارة. كم من فقراء يتخبّطون في بؤسهم؟ كم من رجال ونساء يقعون فريسة عنف التسلّط السياسيّ والاقتصاديّ الشرس؟ كم من معاقين ومسنّين ومرضى مهملين ومقتولين حسيّاً ومعنويًّا بداعي اللامبالاة والإهمال والشفقة الكاذبة؟

أعطِ المؤمنين بك أن يعلنوا لأهل زماننا إنجيل المحبّة والعدالة، ويجسّدوه في أعمالهم ومبادراتهم، ويجعلوه حضارة حياة. ضُمّنا يا ربّ إلى

هؤلاء المؤمنين، لكي تكون "محبّتنا لا بالكلام أو باللسان، بل بالعمل والحق" (يو ١٨/٣أ)، فنرمّم روابط الأخوّة والشركة مع كلّ محتاج، ويتجلّى فيه بهاء مجد اللّه، لإكرام الثالوث القدّوس وتمجيده، الذي يظلّلنا بمحبّة الآب، ويشفينا بنعمة الابن، ويحيينا بحلول الروح القدس، آمين (مقتبسة من صلاة القدّيس الأب بيّو والبابا يوحنّا بولس الثاني).

صدر في السلسة

- المسيح نور ينجلي للأمم (زمن الميلاد ٢٠٠٥- ٢٠٠٦)



ISBN 9953-457-01-8